الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العـدد ٤٦ — ٢١ مايو سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

2 me Année, No 46.

Lundi-21-5-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

م ٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

السنة الثانية « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ صفر سنة ١٣٥٣ — ٢١ مايو سنة ١٩٣٤ » العدد ٤٦

فهرس العـــــدد

مدينـــة ســـبأ

للدكتور طه حسين

كان الأديب الفرنسى ملرو نائماً كاليقظان ، أو يقظان كالنائم ، ولا تجد فى ذلك شيئاً من الغرابة ، فنوم الأدباء البارعين يقظة ، لأنه مملوء بالأحلام التى قد تكون من الصدق والدقة ، ومن الخصب والانتاج بمنزلة لا يبلغها الحق نفسه فى كثير من الأحيان . ويقظة الأدباء نوم ، لأنهم يشغلون فيها عما يحيط بهم من هذه الحقائق الممكنة الواقعة بما يملأ رؤوسهم من هذه الخيالات والأوهام التى تدنو من نفوسهم حتى تصبح كأنها جزء منها ، وتبعد عن متناولهم حتى تصبح كأنها النجوم . وهم يعجبون بقربها منهم فيطمعون فيها ويطمحون اليها ، وهم يشفقون من بعدها عنهم فيلحون فى طلبها ويجدون فى ادراكها ، ويتكلفون فى بلوغها أعنف الجهد وأشق العناء .

كان الأديب الفرنسى ملرو إذن نائما كاليقظان ، أو يقظان كالنائم . كان فى ساعة من هذه الساعات الحلوة التى يقضيها الأدباء مستمتعين بلونين من الحياة ، أحدهما مختلط مضطرب شاحب ، وهو لون الحياة الواقعة . والآخر واضح جلى ناصع ، وهو لون هذه الحياة التى يحيونها بين الخيالات والأوهام . وانه لفى ذلك واذا غانية حسناء رائعة الحسن ، جميلة بارعة الجمال ، غريبة الزى ، لم ير مثلها قط فيمن رأى من غانيات باريس ، وفاتنات غير باريس من المدن الأوربية التى زارها ، بل لم ير مثلها فيما رأى من الصور

والرسوم التى تنقل للناس ما احتفظت ذاكرة التاريخ القديم والمتوسط والحديث من ملامح الغانيات واشكالهن وأزيائهن ، وكانت تتراءى له من بعيد لا يكاد يراها حتى يفقدها ، ولا يكاد يفكر فيها بعد فقدها حتى تتراءى له من جديد ، فلا يكاد ينظر اليها حتى تستخفى ، ولا يكاد يستأنف التفكير فيها حتى تبدو . وكانت اذا تراءت له ملأت الجو من حوله عبيراً وعرفا لم يحس مثلهما قط فيما أحس من الاعطار المصنوعة ومن الاعطار الطبيعية ، ومن شذى الرياض وعرف الغابات ، وكانت اذا استخفت ذهب معها هذا العبير ، الا بقية ضئيلة تضطرب فى الجو ، كأنها البقية الضئيلة من شعاع الأمل . فكانت نفس الاديب الفرنسى ملرو تتعلق بهذه البقية الضئيلة من العبير ، كما تهيم بهذا الشخص الجميل الرائع الذى كان يبدو ويستخفى فى سرعة كوميض البرق . ولو أن هذا الخيال عرض لرجل مثلك أو مثلى على هذا النحو وهو نائم لأيقظه ، أو عرض له وهو يقظان لذاد عنه كل وهم أو خيال ، ولدفعه الى حياة عنيفة متنبهة تشبه الجنون . ولكنه لم يعرض لك ولم يعرض لى ، وانما عرض للأديب الفرنسى ملرو . ولهذا الأديب قوة ساحرة فيما يظهر ، تمكنه من مقاومة الحق الذى يوقظ النائمين ، ومن مقاومة الوهم الذى ينيم الايقاظ ، وتمسكه فى حال بين الحالين ، ومنزلة بين المنزلتين ، فاذا هو نائم كاليقظان ويقظان كالنائم . وقد دعا اليه سحره هذا ، فأعانه السحر على أن يظل على الحدود بين المملكتين : مملكة اليقظة ، ومملكة النوم . مملكة الحقيقة الباطلة التى يضطرب فيها مثلك ومثلى من الناس ، ومملكة الخيال الصادق التى يضطرب فيها الأدباء والشعراء ، وظل فى مكانه يرى هذه الجنية ، ويتنسم عبيرها اذا ظهرت له ، ثم يتعلق بما بقى من نشرها ويهيم بخيالها اذا غابت عنه ، وكأن هذه الجنية كانت تريد أن تعبث بالكاتب الاديب ساعة من نهار أو ساعة من ليل ، وما أكثر ما تعبث الجن بأبناء الانسان . ولكن الاديب الفرنسى ملرو ، كان من البراعة والمهارة ، ومن السحر واللباقة ، بحيث استطاع أن يعبث بهذه الجنية الماكرة الماهرة ، وأن يكرهها على أن تبيح له سرها ، وتلقى عنه ما بينها وبينه من الاستار . وأكبر الظن ان الاديب الفرنسى ملرو ، انما تعلم هذا الفن الذى يستغوى به الجن من رياضة بسيطة ، ما أجدر أدباءنا وشعراءنا ان يتكلفوها ويأخذوا انفسهم بها ، وهى رياضة الصيد فى الانهار والغدران . فهذه الرياضة تحتاج الى صبر طويل ، طويل جدا ، والى لباقة ودقة قلما تحتاج اليهما الرياضات الاخرى ، وقد يمكث الصائد على شاطىء الغدير ساعات طوالا جدا ، ينتظر الصيد فيصيبه أو لا يصيبه ، ولكنه لا ييأس على اى حال .

ظل الكاتب الاديب ملرو ، فى حاله هذه بين الحالين ، وفى مقامه هذا بين المملكتين ، وظلت الجنية تبدو له فيستقبلها ، وتغيب عنه فيتبعها ، حتى سئمت منه هذا الصبر ، وضاقت منه بهذا الثبات ، واستيأست من ترويعه والعبث به ، فوقفت منه غير بعيد وحدقت فيه تحديقا طويلا ، لو حدقته فى رجل مثلك او مثلى لملأت قلبه رعبا ، ولدفعته الى الجنون دفعا ، ولكن الاديب الفرنسى ملرو ثبت لمنظرها الجميل ، وتحديقها الطويل ، مبتسما فى هدوء ، ينظر اليها ولا يقول لها شيئا . واخذت هى تدنو منه وتطيل النظر فيه ، وهو ثابت لا يضطرب ، ومستقر لا يريم ، حتى اذا كانت منه بمكان النجى ، سألته فى لغة غريبة لم يسمع لفظها قط ، ولكنه فهم معناها كما يفهم معانى اللغة الفرنسية حين تلقى اليه . سألته فى هذه اللغة الغريبة ، وفى ابتسام ليس اقل منها غرابة قائلة من تكون ؟ لقد عرضت لكثير مثلك من الناس منذ عشرات القرون ، فروعتهم ترويعا على اختلاف اجيالهم وبيئاتهم ، وتفاوت درجاتهم فى العلم والجهل ، وفى الغفلة والذكاء ، حتى اتخذت ترويع الناس لذة من أهون اللذات ، اذا فرغت مما أنا فيه من أعمال الجد التى تحملنى كثيرا من الألم والعناء . حدثنى من تكون ؟ ولا بأس عليك من أن تجيبنى باللغة الفرنسية فسأفهمها عنك ، كما تفهم أنت عنى الآن هذه اللغة الحميرية ، التى لا يتكلمها أحد من الناس فى هذه الايام ، والتى يجد علماؤكم فى قراءتها وتفسيرها ، واستنباط قواعدها وأصولها . حدثنى من تكون أيها الفتى الذى عجزت عن ترويعه والعبث به ؟ قال الاديب الفرنسى ملرو ، وهو ينظر هادئا مبتسما الى هذه الجنية : بل حدثينى انت من تكونين . ؟ فانى لم أعرض لك ، وانما عرضت لى ، وانى لم أحفل بك ، وانما حفلت بى ، وانى لم أدن منك ، وانما دنوت منى ، وانى لم أحاول سحرك بلحظ ولا لفظ ، ولا حركة ولا عبير ، فما ينبغى لك أن تسالينى ، وانما ينبغى لى أن أسالك . ومع ذلك فانى لم أسالك حتى بدأتنى بالسؤال ، ومع ذلك فانى قادر على أن أعفيك من الجواب ، وعلى أن أدعك تمضين فى طريقك ، فما أكثر من يعرض لى من أمثالك ، وما أكثر ما أتحدث اليهن وما يتحدثن الى ، ولئن فاتنى أن أعرفك وأسمع من انبائك فقد عرفت من قبلك خيالات أخرى ، أستطيع أن أستأنف لقاءها متى شئت ، وأن أقص عليها من انباء الاحياء ، وتقص على من أنباء الاموات . قالت الجنية أو قال الخيال : ما أشد طغيانكم أيها الناس ، انكم لضعاف أشنع الضعف ، ولكن المكر يجعل ضعفكم قوة ، وذلكم عزة ، وجهلكم علما . حدثنى يا فتى من تكون ؟ والا فانى قادرة على أن أسوءك ، قال بل حدثينى

انت من تكونين ، واستيقنى انك لا تقدرين من الاساءة الى على شىء ، بل انا قادر إن شئت على أن أغلق بينى و بينك الباب ، وأقطع بينى و بينك الاسباب . وأى شىء أيسر من أن أمضى إلى هذه الناحية ، فاذا انا فى مملكة اليقظة التى لا وهم فيها ولا خيال ، والى هذه الناحية فاذا انا فى مملكة النوم العميق التى لا تستطيع الأحلام ان تدنو منها أو تجد اليها سبيلا . قالت فانى اراك على قوتك ذكيا ماهرا ، تحسن الحوار وتعرف كيف تقطع الطريق على خصومك ومحاوريك . وما أرى الا انك جنى قد اتخذت شكل الانسان ، وما ارى إلا اننا نستطيع أن نتفق فنعبث بالناس جميعا ، ونكيد لهم جميعا ، ونخدعهم جميعا ساعة من نهار ، او يوما من اسبوع . قال بل أشهرا كاملة من عام كامل ، بل عاما كاملا من اعوام طوال ، فحدثينى من تكونين احدثك من اكون . واعلمى منذ الآن انى لا اكره ترويع الناس والعبث بعقولهم ، فان الرجل الممتاز حقا هو الذى يحسن العبث بعقول معاصريه ، فان استطاع مع ذلك ان يعبث بخيالهم وآمالهم وايديهم وجيوبهم ، فهو الرجل العبقرى حقا . حدثينى من تكونين أحدثك من أكون . فقد يخيل الى ان سيكون لهذه الساعة فى حياة الناس شأن . قالت وهى تبتسم ابتساما عريضا ، وانا ايضا ارى هذا . فهل سمعت شيئا من حديث تلك المملكة التى امتلأت بذكرها كتب القصص والتاريخ ؟ قال اى مملكة تريدين؟ فما اكثر الملكات اللاتى ملأ ذكرهن كتب القصص والادب والتاريخ . قالت فى شىء من الدل ، وهذا العرف الذى يملأ الجو من حولك ، والذى يكاد يذهلك ، لولا انك رجل ممتاز لا يعرف الذهول اليه سبيلا ، الا يدلك على شىء ؟ قال بلى ! انه يدلنى على انك قد سريت من الشرق ، فهذا العرف لا عهد لى بمثله الا فى كتب القصص والتاريخ . ألا تكونين قد اقبلت من بلاد اليمن ، تلك التى تحدث عنها القدماء والمحدثون ؟ . قالت قد عرفتنى ، فانا جنية من أرض اليمن ، أقبلت أعبث ببعض أهل الغرب ، وأبحث للجن اليمانيين عن بعض الفرائس ، فظفرت بك . قال بل وقعت فى يدى . فمن أى بلاد اليمن أقبلت ؟ قالت من تلك المدينة العظيمة التى كانت تملكها تلك الملكة القديمة العظيمة . قال ملكة سبأ ؟ قالت هى هى ! : قال وعلام نستطيع أن نتفق ؟ . قالت على أن نعبث بالناس شيئا . ثم نهدى اليهم بعد ذلك ما يعوضهم من هذا العبث أحسن تعويض . ثم اتصل الحديث بينهما وانقطع ، ثم اتصل مرة أخرى وانقطع ، ثم أصبح الناس واذا الاديب الفرنسى ملرو ، يمر بالقاهرة فى طيارة قد أنشئت له ، فيقيم فى القاهرة يوما وبعض يوم ، ثم يفارقها ، ثم تمضى أيام ، ثم يخفق البرق بانه قد استكشف مدينة سبأ فى أقل من تسع ساعات ! . طار من جيبوتى فعبر البحر ، ثم مضى حتى انتهى الى الربع الخالى ، وكانت صاحبته الجنية قد سبقته وضربت له موعدا فى تلك العاصمة الجميلة ، ورسمت له الطريق التى يجب عليه أن يسلكها رسما دقيقا صادقا ، فلما انتهى الى موعده صور من المدينة ما صور ، لم يهبط الى الأرض ، ولكن جنيته صعدت اليه ، ودلته على أجمل المناظر وأجدرها أن يخلب الناس ويسحر الباهم . ثم عاد الى باريس وقد سبقته اليها الانباء . والناس من أمره بين الشك واليقين ، فكتب المقالات ، والقى الاحاديث ، ونشر بعض الصور ، فاما العلماء فانكروا ، واى شىء أيسر على العلماء من الانكار ؟ وأما غير العلماء فصدقوا ، وأى شىء أيسر على غير العلماء من التصديق ؟

ثم تنتقل الانباء من أوروبا الى أمريكا عابرة اليها المحيط ، فيضطرب العالم الجديد اضطرابا ، واذا البرنامج كله قد تحقق ، دهش الناس ، ثم اضطربوا ، ثم صدقوا ، ثم اندفعوا ، فكان العبث بالعقول ، ثم بالخيال ، ثم بالايدى ، ثم بالجيوب . فاذا كان شهر نوفمبر ، فان البعثة ستعبر المحيط ، ثم تعبر البحر ، ثم تعبر البحر أيضا ، ثم تمضى فى الصحراء ، وما أكثر ما فى الصحراء العربية الجنوبية من بقايا المدن القديمة التى عرفها الناس والتى لم يعرفوها ، ومن يدرى ! ؟ لعل هذه الجنية التى تراءت للأديب الفرنسى ملرو ، أن تبر بالوعد ، وتفى بالعهد ، وتهدى الى العلماء المنكرين وغير العلماء المصدقين ، مدينة قديمة فيها من الآثار مايعوضهم من هذا العبث الذى يخضعون له فى هذه الايام تعويضا حسنا .

لا ينبغى أن ننكر على الادباء حياتهم هذه التى يمضون فيها مع الخيال والوهم ، ويسمعون فيها لأحاديث الجن والشياطين ، ويتبعون فيها آمالهم وأمانيهم ، فان هذه الحياة لذيذة فى نفسها بالقياس الى الادباء أنفسهم ، وبالقياس الى الناس حين يسمعون انباءها . ثم هى فى كثير من الاحيان خصبة منتجة ، تبدأ بالحلم والوهم والامل ، وتنتهى الى اليقظة والحق واليقين . لا ينبغى أن ننكر على الادباء حياتهم هذه وانما ينبغى أن نتمنى لادبائنا وشعرائنا حياة مثلها يملؤها الوهم والخيال والأمل ، ويملؤها النشاط والجد والعمل والصبر على احتمال الجهد ، وعلى احتمال السخرية والاستهزاء بنوع خاص .

طه حسين

الزلة الأولى

للأديب الفرنسي لامنيه

بقلم احمد حسن الزيات

قطعة رائعة التمثيل جليلة المغزى للامنيه ، وهو علم من أعلام الادب الفرنسي ، وفيلسوف من فلاسفة المذهب الكاثوليكي ، وخطيب بليل اللسان من خطباء الدين والسياسة ، ولد سنة ١٧٨٢ في بلد زعيم البيان الفرنسي (شاتوبريان)، ثم طار في جوه ، فنشأ مثله لطيف الوجدان ، خصب المخيلة ، وثاب الفكر ، صحيح الرأي ، لا يخضع لنظام ، ولا يستكين لحادث . دخل الكنيسة راهبا ، ثم الجمعية العمومية نائبا ، فنصر الله في الاولى والحرية في الثانية . ثم صبا في سياسته الى الاشتراكية ، وفي عقيدته الى الارثوذكسية ، وحاول ان يقيم المسيحية على دعائم جديدة من الوضوح والبساطة . فلقي في سبيل هذه الآراء الحرة سخط البابا وغضب الكهنوت وعنت الساسة .

أما أسلوبه الخطابي شعري يعتمد على الصور الحية والتشابيه القوية ، ويسلك فيه مسلك (بوسويه) في احتذاء الانجيل ، واقتباسه منه أسلوب الرمز والتمثيل .

وهذه القطعة التي ننشرها اليوم تمثل شبق الانسان الى الشهوة البهيمية وحاله بعدها ، فمثل الشهوان كمثل الظمآن يتحرق الى اللذة الآثمة ، كما يتحرق هذا الى الكرمة اليانعة ، ودون هذه اللذة آثام وأجرام ورجس ، كالمستنقع الذي يحول بين الظمآن وبين عصير العنب . وهنا يتصارع العقل والهوى ، وتوازن النفس بين نتانة الوحل وبين برودة العنب ، فيستخف الشهوان بالخطيئة اعتمادا على التوبة ، كما يستخف الظمآن بالوحل اعتماداً على الغسل ، ولكن هيهات ! لا بد للجرح من أثر . وللنتن الخبيث من ذفر

قال لامنيه :

برّح به أوار القيظ ، وبلغ منه سُعار العطش ، فأرسل طرفه في الفضاء ، فرأى في حضيض الأكمة كرما تهدلت أغصانه وتدلت عناقيده . فهفا قلبه من الفرح ، وتاقت نفسه الى بلوغ الكرم لينقع بثمره أوامه ، وينضح بشرابه كبده ، ولكن بينه وبين الاكمة مستنقعا لا مناص من خوضه ، وقف موقف الحائر لا يدري أيقدم أم يحجم ؟ فتارة تدفعه حرارة الظمأ ، وتغريه برودة العنب وطراءة الكرم ، وتارة تقعد به وخامة الطين ونتانة الوحل .

فلما لاحه العطش سولت نفسه اليه أن المستنقع قد يكون قريب الغور سهل المعبر ، فما الذي يمنعه أن يجرب ما يفعله كثير من الناس ؟ على أنه لا يلوث غير قدميه ، وذلك أذى في جانب ما يبغيه قليل

أطاع هواه واستجرّ لشيطانه ، فوضع قدميه في النقع حتى غاص فيه الى ركبتيه . فوقف مترددا مرتابا يداور الامر في نفسه ويقول : لعل الرجوع أخف مئونة وأحمد مغبة ، ولكن الكرمة وعناقيدها أمامه ، والريق قد عصب من الظمأ فاه . . . فقال في نفسه : أما وقد بلغت ما بلغت فليس من الرأي أن أرجع فيذهب ذلك العناء باطلا ، لا ينبغي بعد هذا أن أكترث لما التق من الوحل قل أو كثر ، فسأعود نقي الجسم طاهر الثوب اذا ما اغتسلت في أول نهر أجده

أمضى على هذه الفكرة عزمه وتقدم ، فبلغ الطين صدره ، ثم عنقه ، ثم شفتيه ، وما لبث أن طم فوق رأسه ، فضاق صدره وحشرجت أنفاسه ، وكاد يصرعه الخُناق لولا أن استجمع قواه ونهض نهضة بلغت به جانب الاكمة

خرج والحمأ المسنون يسيل من أعضائه ، فأكل من الشجرة التي اشتهاها حتى اكتظ ، ثم نظر الى نفسه فاخجله ما رأى من بشاعة منظره وقبح زيه ، فخلع ثيابه وطفق يبحث عن ماء رائق يطهر به نفسه ، ويذهب عنه رجسه ، ولكن هيهات أن يتم له ما يريد ! انه مهما فعل فان الرائحة الخبيثة باقية تسطع في الأنوف وتدفع في الحلوق

لقد نفذت أبخرة المستنقع في لحمه وعظمه ، ثم أخذت تفوح وتنتشر ، فكونت من حوله جواً فاسداً عفناً لا يطيق الصبر عليه انسان ، ولا يستطيع الدنو منه أحد

لقد أراد أن يكون مع الزواحف فليكن كما أراد !

سبيل الخـــلاص

من الامتيازات الأجنبية

للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري
أستاذ القانون المدني بكلية الحقوق

— ٢ —

ذكرنا في العدد السابق المقترحات الخاصة بالتشريع في المعاهدة التي تعرض الحكومة المصرية على الدول ذوات الامتيازات إبرامها . فننتقل بعد ذلك الى القضاء ثم الى الادارة .

٢ – القضاء

نقترح أن تنص المعاهدة على انشاء محاكم مصرية جديدة تحل محل المحاكم المختلطة ، ويتناول اختصاصها ما يأتي :

(١) القضايا المدنية والتجارية فيما بين الاجانب المتمتعين بالامتيازات الاجنبية دون غيرهم ، بما فيها قضايا الاحوال الشخصية ، وكذلك القضايا المدنية والتجارية ما بين مصري وأجنبي متمتع بالامتيازات الاجنبية . ويستثنى من ذلك القضايا العقارية فتكون من اختصاص المحاكم الاهلية مطلقا ، حتى لو كان الخصوم جميعا من الاجانب . وتكون العبرة في الاختصاص بشخصية الخصوم الحقيقية ، فلا ينظر الى الصالح المختلط ، ولا يعتد بتحويل الحق الى اجنبي تحويلا صوريا . وينص على جواز الاتفاق مقدما فيما بين الافراد على التنازل عن اختصاص هذه المحاكم الجديدة ، كما ينص على جواز التنازل عن هذا الاختصاص باتفاق الخصوم في أية حالة كانت عليها الدعوى ، ويكون الاختصاص في هـــذين الفرضين للمحاكم الاهلية .

(٢) القضايا الجنائية التي يكون المتهم فيها أجنبيا متمتعا بالامتيازات ، واذا تعدد المتهمون وكان فيهم مصري كانت القضية من اختصاص المحاكم الاهلية حتى بالنسبة للمتهمين الاجانب ، منعا لتضارب الاحكام .

أما تشكيل المحاكم الجديدة فيكون على الوجه الآتي :

(١) محكمة استئناف يكون نصف عدد المستشارين فيها مصريين والنصف الآخر من الأجانب . وتشكل في هـذه المحكمة دوائر مدنية وجنائية يكون عدد أعضاء كل دائرة منها ثلاثة (بدلا من خمسة) ، ولا يكون تشكيل الدائرة صحيحا الا اذا كان أحـــد أعضائها على الأقل مصريا .

(٢) ثلاث محاكم ابتدائية في القاهرة والاسكندرية والمنصورة ، ويكون نصف القضاة في كل محكمة من المصريين والنصف الآخر من الأجانب ، وتشكل الدوائر في هذه المحاكم على الوجه المبين في تشكيل دوائر محكمة الاستئناف . وتكون رياسة محكمة الاستئناف والمحاكم الابتدائية جائزة للمصريين وللأجانب على السواء ، فاذا انتخب أجنبي للرياسة وجب انتخاب مصري للوكالة . واذا جلس في الدائرة أكثر من عضو مصري تكون رياسة الدائرة حتما لمصري . ويكون أعضاء النيابة العمومية كلهم مصريين ، عدا النائب العام . أما لغة هذه المحاكم الجديدة فتكون اللغة العربية للدوائر التي يرأسها مصري ، وإحدى اللغتين العربية أو الفرنسية للدوائر التي يرأسها أجنبي على أن تقرر الدائرة أي اللغتـــين تستعمل في القضايا المختلفة .

وقد لاحظنا في هذه المقترحات أن بعضها قد أقرته انجلترا في في مفاوضاتها مع مصر ، كما جاء في المذكرة البريطانية التي سبقت الاشارة اليها (انظر الكتاب الأخضر ص ٩ — ص ١٠) وكما جاء في مشروعات هرست المعروفة . والبعض الآخر تحتمه العدالة ، ويستوجبه تقدم مصر في مدى ستين عاما انقضت منذ إنشاء المحاكم المختلطة الحالية ، بما يقتضي تمصير المحاكم الجديدة مع الاحتفاظ بالعنصر الاجنبي فيها . والفكرة الاساسية في هذه المقترحات أن ينقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم الجديدة ، فلا يعود يوجد من المحاكم في مصر إلا ما كان مصريا . وفي الوقت الذي يتسع فيه اختصاص المحاكم الجديدة على حساب المحاكم القنصلية يضيق فيه هذا الاختصاص لحساب المحاكم الأهلية . فنسترد لاختصاص محاكمنا الأهلية القضايا العقارية ، وقد قدمنا أن الامتيازات الاجنبية لا تمنع من ذلك ، وأن الاجانب لم يسمح لهم بتملك عقارات في البلاد العثمانية الا بشرط أن يخضعوا لقوانين البلاد ومحاكمها فيما يتعلق بهذه العقارات . ونسترد أيضا ما انتزعته المحاكم المختلطة من اختصاص المحاكم الاهلية من طريق التوسع في التفسير توسعا يصطدم مع المنطق القانوني

الصحيح . فنقصر كلمة « الاجنبي » على من كان تابعا لدولة متمتعة بالامتيازات ، حتى يدخل فى اختصاص المحاكم الأهلية قضايا الأجانب غير المتمتعين بالامتيازات وقد أصبحوا الآن كثيرين . وهذا حقنا ، لايجوز انكاره علينا ، ومع ذلك فقد أنكرته المحاكم المختلطة الحالية ، ولم يجد فى اقناعها تعديل المادة ١٥ من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية بما يتفق مع هذا الحق . (١) ثم نقضى على نظرية الصالح المختلط التى استطاعت المحاكم المختلطة الحالية من ورائها أن تمد اختصاصها الى قضايا فيها كل المتقاضين مصريين ، بدعوى أن هناك مصلحة لأجنبي فى الدعوى ، ولو كانت هذه المصلحة ليست هى بالذات موضوع النزاع . وطبقت هذا المبدأ على الشركات ولو كانت مصرية ، فادخلتها فى اختصاصها مادام فيها مساهم أجنبي . وطبقته كذلك على حجز ما للمدين لدى الغير ، فقضت باختصاصها ولو كان كل من الدائن الحاجز والمدين المحجوز عليه مصريا ما دام المحجوز لديه أجنبيا . وليس للمحاكم المختلطة فى كل هذا سند قانونى الا نص المادة ١٣ من لائحة ترتيبها ، وهذه لاتعرض الا لحالة استثنائية لايجوز التوسع فى تفسيرها ، ومن باب أولى لايجوز القياس عليها . ثم نضع حدا للإحتيال على جعل قضية من اختصاص المحاكم المختلطة من طريق تحويل الحق المتنازع فيه الى أجنبي تحويلا صوريا . ونفسح المجال لاتفاق الخصوم على اختصاص المحاكم الاهلية حتى لو كان بينهم أجنبي ، سواء أوجد هذا الاتفاق وقت رفع النزاع أم كان قد تم قبل ذلك ، وبهذا نمهد السبيل لمد اختصاص المحاكم الاهلية الى الأجانب الذين يرتضون هذا الاختصاص .

وراعينا بعد ذلك أن تكون المحاكم الجديدة ، وهى مصرية ، غير مقصورة فى مصريتها على الشكل دون الجوهر ، كما هو شأن المحاكم المختلطة الحالية . فطلبنا أن يكون نصف قضاة المحاكم الجديدة مصريين حتى نضمن بذلك أن تكون هناك دوائر ، غالبية القضاة فيها مصريون ورئيسها مصرى ولغتها العربية ، وأن يكون نصف أعضاء الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف – ولها اختصاص تشريعى كما قدمنا – من القضاة المصريين . وأجزنا رياسة المحاكم للمصريين وحتمنا أن تكون الوكالة لهم اذا كان الرئيس أجنبيا . وبذلك يكون العنصر المصرى فى المحاكم الجديدة معادلا للعنصر الاجنبي وهذا هو العدل ، فان المصالح المصرية التى تقضى فيها هذه المحاكم لا تقل فى الأهمية والخطر عن المصالح الاجنبية إن لم تزد عليها . هذا الى أن المحاكم مصرية ، تجلس فى أرض مصرية ، وتحكم باسم مليك البلاد ، وتتقاضى نفقاتها من خزينة مصر ، وتنفذ السلطات المصرية أحكامها ، فاذا طلبنا بعد كل هذا أن يكون نصف القضاة مصريين فلا نكون قد ارتكبنا شططا بل نحن معتدلون ، فما زلنا نفسح المجال واسعا للعناصر الاجنبية : نصف القضاة منهم ، ولهم أن يرأسوا المحاكم والدوائر ، وللدائرة التى تتشكل من غالبية أجنبية أن تتخذ الفرنسية لغة للتقاضى ، وهذه الغالبية الاجنبية مكفول توافرها فى نصف الدوائر . أليس فى كل هذا ضمان كاف نقدمه للاجانب حتى يطمئنوا الى قضاء المحاكم الجديدة ؟

٣ – الادارة

نرى أن تنص المعاهدة على الغاء كل القيود التى تضعها الامتيازات الاجنبية على سلطة الادارة المصرية . فيصبح لرجال الادارة السلطة فى القبض على المجرمين الاجانب وتفتيشهم وتفتيش منازلهم ومحال أعمالهم دون تدخل القناصل . ويكفى ضمانا للاجانب أن يجعل هذا من اختصاص رجال ضبطية خاصة تلحق بالمحاكم الجديدة ، وتوضع تحت اشراف النائب العام أمام هذه المحاكم ، ولا بأس من اختيار هذا النائب من بين الاجانب مادمنا قد نقلنا الاختصاص الجنائى للمحاكم القنصلية الى المحاكم الجديدة ، على أن يكون النائب العام وحده هو الاجنبي دون سائر أعضاء النيابة ، هؤلاء يجب أن يكونوا مصريين كما قدمنا . واذا كان لابد من تقديم ضمانات أخرى . فلا بأس من ادخال عنصر أجنبي لا يزيد على النصف بين رجال الضبطية القضائية الخاصة التى أشرنا اليها .

ومادمنا قد جعلنا اختصاصات الضبطية القضائية بالنسبة للاجانب فى يد هيئة خاصة فيها عنصر أجنبي وهى تحت اشراف النائب العام الأجنبي ، فانه لم تعد هناك حاجة للضمانات التى تطلبها انجلترا مما جرت على تسميته (بالبعثة الانجليزية) فى البوليس المصرى ، وهى البعثة التى ورد ذكرها فى المفاوضات التى دارت بين البلدين .

---

(١) وقد يحسن أيضا النص فى المعاهدة على أن جميع الرعايا السابقين للدولة العلية ، كالفلسطينيين والسوريين واللبنانيين يخضعون للقضاء الاهلى ، حتى لو كانت بلادهم قد وضعت بعد الحرب تحت انتداب دولة متمتعة بالامتيازات

كذلك لا حاجة الى وجود مستشار قضائي ومستشار مالى ، فاذا كان لابد من وجودهما وجب تحديد اختصاصهما والمدة التى يبقيان فيها تحديدا ضيقا ، بحيث لا يتنافى وجودهما مع سيادة الدولة ، ولا يؤيد دعوى الانجليز فى حماية المصالح الأجنبية ، ولا يتعارض مع المسئولية الوزارية .

وغنى عن البيان أن الادارة المصرية تستبق حقها مطلقا فى إبعاد الأجانب غير المرغوب فيهم عن مصر ، فان هذا هو حقها فى الوقت الحاضر لم يؤثر فيه وجود الامتيازات الأجنبية ولا قيام المحاكم المختلطة . كذلك يكون للادارة المصرية وللهيئة التشريعية اتخاذ التدابير اللازمة لمنع المهاجرة الى مصر أو تقييدها إذا استلزمت مصلحة البلاد ذلك . وللحكومة المصرية الحرية الكاملة فى عقد معاهدات مع الدول بشأن تسليم المجرمين الفارين . كل هذا نذكره لا لأن هناك شكا فى ان الحكومة المصرية تملكه ، فانه لا يوجد أحد ينكر عليها هذه الحقوق التى لم تتأثر بالامتيازات الأجنبية ، وإنما نقرره هنا لأنه ورد ذكره فى مشروعات هرست المعروفة ، وكان يراد تضييق سلطة الحكومة المصرية فيه فترجع الى الوراء بدلا من أن تتقدم الى الامام .

***

هذه هى أسس المعاهدة التى نقترح أن تعرضها الحكومة المصرية على الدول ذوات الامتيازات . وقد راعينا فى وضعها الا تتضمن من المبادىء والأحكام إلا ما أقرته انجلترا نفسها فى المفاوضات التى دارت بينها وبين الوزارات المصرية المختلفة ، وإلا ما كان متفقا مع العدالة وما تستدعيه حالة البلاد من تعديل النظم القائمة . وهذه الأسس هى الحد الأدنى لما تطلبه البلاد فى الوقت الحاضر ، على ان تسترد الدولة المصرية سيادتها كاملة متى حانت الظروف المناسبة . وإذا كنا فى حاجة الى اقناع أحد بصلاحية هذه الأسس فليست هى الدول ذوات الامتيازات التى تحتاج الى ذلك ، وهى تعرف حق المعرفة أن هذه المطالب ، عادلة معتدلة ، وانما حاجتنا هى اقناع الجانب المصرى نفسه بالاقتصار على هذه المطالب ، بعد أن دوت صرخة الرأى العام تنادى بالغاء الامتيازات الاجنبية دون الابقاء على أى أثر منها . على أننا اذا كنا استبقينا بعض هذه الآثار فى المعاهدة المقترحة ، فانها لا تبقى الا فى فترة الانتقال من حالتنا الحاضرة الى حالة أخرى تعود فيها الى مصر سيادتها الكاملة . ولذلك جعلنا المعاهدة مؤقتة ، وأعطينا لمصر حق الغائها باعلان يصدر من جانبها . وقد تكون فترة الانتقال هذه ضرورية فى الوقت الحاضر ، حتى لا نباغت البلاد بتغيير فجائى طفرة واحدة .

فاذا عرضت هذه الأسس على الدول ذوات الامتيازات ، فقد تقبلها هذه الدول جميعها ، أو يقبلها عدد كبير منها (والعبرة بعدد الرعايا لا بعدد الدول) ، وفى هذه الحالة تعقد المعاهدة مع الدول التى قبلت ، ولا نعتد بالأقلية التى لم تقبل ، فهذه لا تلبث أن تنضم الى المعاهدة ، كما فعلت فرنسا فى سنة ١٨٧٦ . وينتهى الأمر عند هذه الخطوة الثانية . أما إذا لم تقبل الدول هذه الأسس ، فعلى الحكومة المصرية أن تخطو فى التدابير التى تتخذها الخطوة الثالثة وموعدنا بتفصيلها العدد المقبل .

عبد الرزاق السنهورى

لا غالب الا الله . . ! (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

ذهبت البارحة الى مسرح الحمراء . وقد سمى الاوربيون كثيراً من ملاهيهم باسم الحمراء بعد أن حرفوه الى الهمبرا . سألت نفسى فى الطريق كيف حرّف الاسم هذا التحريف ؟ فقالت : ان الزمان ليطمس الأعيان ثم يذهب بالآثار ، فما ابقاؤه على الاسماء ؟ أشفقت من هذا الحديث أن أتغلغل فيما وراءه من آلام وأحزان ، فقلت : فيم الفرار من الكد والعناء إلى هذا الملهى إن بدأت حديثه بالمراثى والمصائب ؟

أخذت مكانى بين الجالسين فسرحت طرفى فى طراز عربى من البناء والنقش ، واذا منظر يفتح لى من التاريخ فجاجا ملأى بالاهوال والعبر . لبثت أتأمل البناء متحرزاً أن أجتازه الى ما وراءه من خطوب التاريخ . وما زلت أصوب النظر وأصعده فى المسرح حتى جمد البصر على دائرة فى ذروته لاحت فيها أحرف عربية ،

(١) كتبت فى لندره سنة ١٩٢٥

فكنت وإياها غريبين فى هذا الجمع « وكل غريب للغريب نسيب » بل كنت وإياها نجيين فى هذا الحفل لا يفهمها غيرى ، ولا تأنس من الوجوه الحاشدة بغير وجهى . أجهدت البصر الكليل فى قراءة الاحرف فاذا هى « لا غالب الا الله » . يا ويلتاه !

شعاربنى الأحمر الذى حلوا به قصورهم ومساجـــدهم . ؟ انها لسخرية أن توضع هذه الكلمة الجليلة فى هذا الملهى ، وأى جليل من ماضينا المجيد لم يتخذه القوم سخرية ؟ قرأت هذه الكلمة فاذا هى عنوان لكتاب من العبر ، قلبته صفحة صفحة ذاهلا عما حولى فلم أنتفع بنفسى فى مشهد اللهو واللعب ، ولم تحس أذنى الموسيقى والغناء . أغمضت عينى عن الحاضر لأفتحها على المـاضى . وصمت الأذن عن ضوضاء المكان ، لتصيخ الى حديث الزمان .

وناهيك بجولان الفكر طاويا الأعصار ، منتظما البوادى والامصار ، واثبا من غيب التاريخ الى الحاضر ، ومن الحاضر الى غيب التاريخ .

شهدت فى ساعة جيوش طارق غازية من الزقاق الى البرتات ، وشهدت مصرع عبد الرحمن الغافقى فى بلاط الشهداء ، وشهدت جلاد الاجيال من المسلمين والاسبان ، ورأيت الناصر فى حربه وسلمه ملء العـــين جلالا ورهبة ، وملء القلب عدلا ورحمة . ورأيت البطل ابن ابى عامر يحالف الظفر فى خمسين غزوة ، ويبعد المغار حيث نكصت الهمم والعزائم من قبله . ورأيت دولة الامويين تزلزل فتتصدع فتنهار ، وأبصرت ملوك الطوائف يتنازعون البوار والعار ، ويؤدون الجزية الى الفونس السادس صاغرين . ثم سمعت جلبة جيوش المرابطين يقدمها يوسف بن تاشفين ، وشهدت موقعة الزلاقة القاهرة ، ثم رأيت راية المرابطين تلفف رايات ملوك الطوائف . وهذه دولة الموحدين ، وهذا المنصور يعقوب بن يوسف فى موقعة الأرك يحطم جيوش الاسبان بعد الزلاقة بمائة عام . ورأيت موقعة العقاب وقد دارت على المسلمين دوائرها . والناصر ابن يعقوب يفر بنفسه بعد أن اقتحمت عليه المنايا دائرة الحراس ورأيت غرناطة وحيدة فى الجزيرة يتيمة ، قـــد ذهبت أترابها ، وصارت كما قال طارق يوم الفتح : أضيع من الايتام فى مأدبة اللئام ، ولكنها على العلات ، ورثت مجد المسلمين وكبرياءهم فجالدت الدهر عن نفسها مائتين وخمسين عاما ، وحمت حضارة المسلمين على رغم النوائب وكلب الاعداء . ثم رأيت أشراط الساعة — رأيت أبا الحسن وأخاه محمدا يتنازعان السلطان على مرأى من العدو ومسمع ، ورأيت أباعبدالله ينازع أباه أبا الحسن . ذلك الملك المائل ، والظل الزائل ، ورأيت العراك المديد بين أبى عبدالله وعمه الزغل كما تتناطح الخراف فى حظيرة القصاب . وتلك جيوش فرديناند وايزابلا تنيخ على مدينة بعد أخرى ، وتدك معقلا بعد آخر ، ومالقة تجاهد الكوارث جهاد المستميت ، والزغل يشق الاهوال اليها لينقذها ، فيقطع أبو عبدالله طريقه ويرد جنده . ومالقة فى قبضة العدو ، وأهلها أسارى يباعون فى الأسواق ويتهاداهم الملوك والكبراء . وهاهو الزغل يسلم واديآش الى العدو على منحة من الأرض والمال . ثم يعيا بأعباء المذلة والهوان فيهاجر الى الغرب . ثم شهدت يوم القيامة ، الجيوش محيطة بغرناطة وأهلها يغيرون على العدو جهد البطولة والاستبسال والصبر ، ثم يغلق عليهم الضعف أبواب المدينة . وهذا من ربيع سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وابو عبد الله يسير الى فرديناند فى كوكبة من الفرسان لا محاربا ولا معاهدا ، ولكن ليسلم اليه مفاتيح الحمراء . نظرت الصليب الفضى الكبير يتلألأ على أبراج القلعة ، وبكيت مع أبى عبد الله وهو يودع معاهد المجد وملاعب الصبا من الحمراء وجنة العريف . وسمعت أمه عائشة تصرخ فى وجهه : « ابك اليوم كالنساء على ملك لم تحتفظ به احتفاظ الرجال » فينهل دمعه ، وتتصاعد زفراته على الأكمة التى يسميها الاسبان اليوم « آخر زفرات العربى » . وهذا أبو عبد الله وهو الذى باء بأوقار من العار والذل تأبى فيه بقية من الشمم العربى أن يقيم على الضيم فيهاجر الى المغرب ، ويرسل الى سلطان فاس من بنى وطاس رسالته الذليلة المسهبة يدفع عن نفسه ما قرف به فى عرضه ودينه . ويشكو الى السلطان حزنه وبثه ويقول :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن جار الزمان عليه جور منتقم

عى رأسى وقلبى بهذه الاحداث الكاربة ، والخطوب المتلاحقة ، وهالتنى هذه المشاهد المقطعة ، فخرجت من هذه الغمرة مرتاعا كما يستيقظ النائم عن حلم هائل .

نظرت أمامى فاذا المسرح ، وصعدت بصرى فاذا الدائرة : « لا غالب الا الله . ! »

عبد الوهاب عزام

الفاشستية

ومبادئها القومية والاقتصادية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مبادىء الثورة الفرنسية روح الحركات الدستورية والديموقراطية التى جاشت بها معظم الامم الاوروبية خلال القرن التاسع عشر ، وكانت الحريات الدستورية والديموقراطية الى ماقبل الحرب هى المثل القومية والشعبية العليا . ولكن الحرب صدعت من صرح المبادىء الحرة والانسانية ، وبثت الى الامم والجماعات الاوربية كثيرا من النزعات الرجعية ، فاستردت القومية المتعصبة سابق قوتها وعادت الاحقاد القومية الى سابق اضطرامها ، وشغلت الديموقراطية بخلافاتها ومعاركها الداخلية عن مواجهة الخطر الذى يهددها . ولم تلبث الحركة الرجعيـة حتى احرزت فوزها الاول بقيام الفاشستية الايطالية ، ثم بقيام حكومات طغيان أخرى فى اسبانيا وبولونيا ويوجوسلافيا تحتقر الحقوق والحريات الدستورية وتعمل لسحقها ، وان كانت مع ذلك لاترى بأسا من أن تستتر وراءها وتعمل باسمها فى أحيان كثيرة . ولم تكن الفاشستية الايطالية حين قيامها واستئثارها بمقاليد الحكم والسلطان فى ايطاليا ، سوى حركة محلية قامت فى ظروف خاصة ، ولم يكن يقدر لها يومئذ انها ستغدو ذات يوم فكرة قومية تهب ريحها على كثير من الامم الاوربية الأخرى ، وانها ستغدو نظاما عاما للدولة يطبق اليوم فى دولة عظيمة أخرى هى المانيا مع خلاف يسير فى الوسائل والغايات ، وتقتبس منه اليوم دول أوروبية أخرى كالنمسا التى اصدرت دستورها الجديد على أساس المبادىء الفاشستية ، بل تذاع اليوم دعوته فى بلاد ديموقراطية عريقة كانكلترا يقوم بها حزب يدعو الى النظام الفاشستى .

وظفر الفاشستية على هذا النحو يدعو الى استعراض المبادىء الجوهرية التى تقوم عليها ، والظواهر الخاصة التى تتميز بها . ويجب أولا ألا ننسى ان الفاشستية تشترك مع البلشفية فى الاستئثار بجميع السلطات والسيطرة على جميع موارد الدولة ، وأن الفاشستية من حيث هى نظام طغيان مطلق تشبه البلشفية كل الشبه . بيد أن هنالك فروقا جوهرية بينهما فى الوسائل والغايات سنأتى عليها فيما بعد . ودعامة الفاشستية الاولى هى الفكرة القومية ، وعليها تقوم جميع مبادىء هذا النظام ، واليها ترجع جميع غاياته ؛ فالفاشستية ترى أن « الأمة » هى حقيقة طبيعية تاريخية ، مثلها الاعلى هو أن ابناء البلد الواحد اخوة تجمعهم رابطة القومية العامة ، ولا تحقق سعادة الامة بقيام فريق منها ضد فريق آخر ولا طبقة منها ضد طبقة أخرى ، بل يجب أن تنظم جميع الطوائف والطبقات والقوى لصالح الامة المشترك ، وباسم الوطن الواحد . وترى الفاشستية انها جديدة طريفة فى جوهرها فهى لاتريد أن تصلح او تحيي نظما قائمة ، ولكنها تدعى انها تقيم حضارة مكان حضارة ، وتنشىء نظما جديدة لبناء الدولة والمجتمع مكان نظم ذاهبة ؛ وعندها ان جميع المبادىء والنظم القديمة قد عفت ولا تصلح بعد للعمل على احياء الحضارة أو المجتمع ، ولا بد أن تقلب من أساسها ، وأن تبدأ الحضارة والمجتمع حياة فتية جديدة على ضوء المبادىء والنظم الجديدة . والدولة الفاشستية لاتقوم على النظام الرأسمالى ، ثم هى لاتقوم أيضا على النظام الاشتراكى ؛ فالانسان لم يخلق فى نظرها لكسب المال فقط ، ولم يخلق أيضا ليقاتل المحظوظين والمنعمين من بنى وطنه ، ولكنه خلق ليؤدى واجبا اعظم من ذلك واسمى هو الواجب القومى .

واذا كانت الجامعة القومية هى دعامة النظام الفاشستى ، فان الفكرة التعاونية هى روح هذا الاتجاه القومى ؛ وهى اهم ظاهرة فى تكوين الدولة الفاشستية : فالدولة الفاشستية لا تقوم كما تقوم الدولة الديمقراطية على فكرة التنافس الحزبى والطائفى فى سبيل السلطة ، ولكنها تقوم على تعاون جميع الطبقات والقوى القومية . وقد عرف السنيور موسولينى فى إحدى خطبه الأخيرة هذه الفكرة التعاونية فى ما يأتى : « إنها هى الاداة التى تسترشد بها الدولة فى وضع النظام الاساسى الشامل الموحد لجميع القوى المنتجة بالامة للعمـل على تنمية موارد الشعب الايطالى وقوته السياسية ورفاهته » وفى قوله « لقـد اعطى النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى كل مايمكن أن يعطياه ، ونحن نرث من كل منهما كل مافيه من العناصر الحيوية » . ويلاحظ ان الفاشستية لبثت بعد قيامها مدى اعوام قبل أن تضع الفكرة التعاونية موضع

التطبيق وتتخذها أساسا لتنظيم الدولة الاجتماعي والسياسي ، ففى ابريل سنة ١٩٢٧ اصدرت حكومة رومة ، لائحة العمل ، وهى القانون الاجتماعي الاساسى للدولة الفاشستية ؛ وفيه تعرف الدولة التعاونية وتشرح نظمها ويشرح قانون العمل المشترك وضماناته والاعمال التعاونية وتربية العمال . وترى الدولة الفاشستية أن العمل ليس مجهودا يبذله العامل لكسب قوته ، وينتفع به صاحب المال ، وليس هو الذكاء أو الجرأة او الاثرة التى تحرك النظام الرأسمالى ، ولكن العمل طبق النظرية الجديدة هو مجموعة صنوف النشاط التى ترمى الى تنمية موارد الأمة المعنوية والمادية ؛ والنظرية الفاشستية تبعد هنا كل البعد عند مبدإ الحرية الاقتصادية وقانون العرض والطلب ؛ وتقدم الفكرة المعنوية على كل هذه الاعتبارات ، فكل عضو فى جماعة عاملة عقلية أو فنية او مادية إنما هو قبل كل شىء من ابناء الدولة ، وهو يدخل بذلك الاعتبار فى دائرة القانون الخاص ، والقانون العام ، بل يدخل فى دائرة القانون الدستورى . ولم تقف الفاشستية فى تطبيق الفكرة التعاونية عند الناحية الاجتماعية ولكنها خطت فى سنة ١٩٢٩ خطوة اساسية أخرى ، فطبقتها من الوجهة الدستورية ، وقررت تحويل التمثيل السياسى الى تمثيل تعاونى ؛ واجريت الانتخابات البرلمانية لمجلس يتألف اعضاؤه من ممثلى النقابات والجماعات التعاونية . وأخيرا منذ ايام قلائل فقط اصدرت الفاشستية كلمتها الفاصلة فى النظام البرلمانى فقررت الغاءه وبذلك قضت الدولة الفاشستية على آخر المبادىء والآثار الراسخة التى تقوم عليها الديموقراطية ، وأضحت تقوم على مبادئها الخالصة الاجتماعية والسياسية .

وتشترك البلشفية مع الفاشستية كما قدمنا من حيث هى نظام طغيان مطلق ، ولكن البلشفية تقف فى الطرف الآخر معارضة للفاشستية كل المعارضة فى الفكرة القومية . فالبلشفية تقوم قبل كل شىء على مبدإ نضال الطوائف والطبقات الاجتماعية ، وعلى مبدإ سيادة الكتلة العاملة ؛ وترى البلشفية أن التاريخ لم يكن فى جميع عصوره سوى نضال بين الطوائف ، وأن قوى الامة الحقيقية ومواردها تتكون قبل كل شىء من العمل أو جهود الكتلة العاملة ؛ وشعارها هو سيادة الكتلة العاملة ، ولا تتحقق هذه السيادة الا بسحق الطبقة الرأسمالية ؛ وهذا هو الفارق الجوهرى بين البلشفية والفاشستية . فالاولى تقوم مهمتها الاجتماعية والاقتصادية على نضال الطوائف ، وتقوم مهمة الثانية على الفكرة التعاونية ، ولكن البلاشفة يسخرون من هذه الفكرة ويقولون ان تعاون الطبقات ذات المصالح المختلفة مستحيل بطبيعته ، وان الطغيان الفاشستى يتخذ من التعاون حيلة لاخضاع الطبقات العاملة ، وان هذا التعاون انما هو تعاون الذئاب مع الاغنام . هذا وثمة فارق جوهرى آخر بين النظامين هو أن البلشفية تذهب فى برنامجها الهدام الى حدود بعيدة ، فترى أن تحقيق مثلها لا يكون الا بهدم كل المبادىء والنظم القائمة ، واستبدالها بمبادىء ونظم أخرى من تفكيرها وصنعها . ولكن الفاشستية لا تذهب فى قصد الهدم الى هذا الحد ، فهى ترى أن تأخذ من النظم القائمة ما يلائم غاياتها ، ولا ترى بأسا من أن تقتبس من الاشتراكية كما تقتبس من الرأسمالية .

وتستطيع الفاشستية أن تدعى اليوم أنها قد أصبحت حركة عالمية بعد أن لبثت الى ماقبل عامين حركة ايطالية محلية ، فمبادئها ومثلها السياسية والاجتماعية تسيطر اليوم على أمة عظيمة أخرى هى المانيا . وطغيان «الوطنية الاشتراكية» الذى يفرضه الهتلريون اليوم على الشعب الالمانى يقوم على نفس الوسائل التى شقت بها الفاشستية طريقها الى السلطان والحكم منذ اثنتى عشرة عاما . بيد أن الفاشستية الالمانية تنقصها الطرافة ، ويغلب فيها التقليد على الابتكار ، وتنقصها بالاخص الزعامة الممتازة ، وتقدمها بهذه السرعة يرجع الى وسائل العنف والارهاب أكثر مما يرجع الى وسائل الاقناع والتأثير . وهى فى جوهرها كالفاشستية الايطالية تقوم على الفكرة القومية ، وحشد أبناء الوطن الواحد تحت لواء واحد ؛ ولكنها تذهب فى فهم الفكرة القومية الى حد التعصب الجنسى والدينى الواضح ، وهو حد لم تبلغه الفاشستية الايطالية قط ، فزعماء الوطنية الاشتراكية الالمانية : اعنى هرهتلر وزملاءه يمزجون الفكرة القومية بفكرة الجنس والسلالة ويفرقون بين الجنس الآرى والاجناس الاخرى ، ويقولون إن الشعب الالمانى هو شعب آرى أشقر يتفوق بالدم والمزايا الجنسية والفكرية على جميع شعوب الارض ، ويشهرون العداء على غير الآريين ؛ ومن ثم كانت ثورة الخصومة السامية ومطاردة اليهود الالمانيين بحجة أنهم غير آريين وأن وجودهم خطر جنسى واجتماعى على الشعب الالمانى ، وهى حركة تعصب شائن لم تصم الفاشستية الايطالية فى أى طور من أطوارها

وكانت ذريعة سياسية فى الواقع رأى الهتلريون فى اتخاذها تحقيقا لبعض خططهم السياسية والاقتصادية ؛ وتذهب الفاشستية الالمانية الى أبعد من ذلك فتعتبر جميع الاجناس السامية والشرقية أجناسا منحطة ، هدامة للحضارة ، يجب أن يسودها الجنس الآرى

واما من الوجهة الاقتصادية ، فان الفاشستية الالمانية غامضة فى وسائلها وغاياتها . فهى تزعم انها اشتراكية على حين انها ابعد الاشياء عن الاشتراكية . وهى تعتمد فى خططها الاقتصادية على التقليد والاقتباس من الفاشستية الايطالية ؛ فقد اصدرت مثلا قانونا « لتنظيم العمل القومى » على مثل لائحة العمل الايطالية ؛ وجمعت نواحى الانتاج المادى والفكرى فى دوائر معينة مقتبسة نظام النقابات الايطالى . ويعرف الدكتور فدر احد علماء الوطنية الاشتراكية الاقتصاديين مهمة الحكومة النازية فى الميدان الاقتصادى بما يأتى : « ان الوطنية الاشتراكية تعارض فكرة جعل الاقتصاد القومى قوميا . والواقع انه اذا كان من واجب الدولة ان تدير شئون البلاد الاقتصادية فيجب ان يكون شعارها عدم التدخل فى الانتاج ، ومهمة الحكومة الجوهرية هى « التنظيم » فعلى الدولة أن تدير شئون البلاد دون أن تشترك فيها . وهذا هو الباعث الذى يوجه الاقتصاد الوطنى الاشتراكى » .

وقد حققت الفاشستية فى ايطاليا دولة قوية ومجتمعا جديدا قويا ، وبذلت جهودا خليقة بالاعجاب لتنمية الموارد القومية وتنظيم الانتاج القومى ، وبثت الى الشعب الايطالى قوى معنوية جديدة ، ورفعت هيبة ايطاليا الخارجية . ولكنا لانستطيع حتى ازاء هذه النتائج البديعة ان ننسى الوسائل العنيفة التى حققت بها الفاشستية سيادتها وسلطانها ، ولانستطيع أن ننسى أنها مازالت تحقق ظفرها على حساب الحريات الدستورية والشعبية . واذا كانت الفاشستية قد استطاعت أن تسير حتى اليوم فى طريق التقدم والظفر ، فلسنا نستطيع مع ذلك أن نؤمن بما يقوله زعماؤها ودعاتها من انها أصبحت تتبوأ مكانتها المستقرة الراسخة بين الانظمة السياسية والاجتماعية العريقة ، وانها أصبحت نظام المستقبل ، ذلك أنها تقوم على كثير من العنف وتغليب الارادة الفردية والوسائل المصطنعة ، ولا تتفق فى كثير من مبادئها وغاياتها مع المبادىء والغايات الانسانية المثلى ، وليست من جهة أخرى تتفق مع النزعات الحرة الراسخة التى يمتاز بها التطور السياسى والاجتماعى فى عصرنا ؛ ومن المحقق أنه يوم تبرأ أوربا القديمة من الجراح التى أصابتها من جراء الحرب الكبرى ، ومن الفوضى السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى هزت أسس المجتمع الاوربى القديم ، فان صرح الفاشستية سيأخذ عندئذ فى الانهيار والتطور ، وستعود المثل الحرة والدستورية القديمة الى تبوء زعامتها وسيادتها فى الدولة والمجتمع ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

حل العقد بقطعها

بعض مواقف الفصل — فقر العالم الى العباقرة

الناس مفتقرون فى كل حين من الدهر الى رجال يحلون العقد لا بالنفث فيها كما يصنع أهل السحر والشعبذة ، بل بقطعها توفيراً للوقت وكفاية لمؤونة التعب وبرهانا على العبقرية — كما صنع ذو القرنين منذ اثنين وعشرين قرنا . وكما صنع المتنبى منذ عشرة قرون . . وكما صنع لورد كرومر فى أواخر القرن الماضى . وكما صنع مصطفى كمال فى رواية الامريكى التائه .

ذلك بان جمهرة الخلق قوالون وبياعو كلام أكثر منهم فعالين ، سواء فى ذلك منهم خاصتهم وعامتهم . فاذا عرضت لهم عقدة مهما يكن موضوعها اشتغلوا بالحرف وحتفه ، وعدوا عن الروح وجدته . والغالب أن يشكل عليهم فهم الحرف فيروحون يتخبطون فيه وفى تأويله حتى يقوم فيهم من يضرب بالحرف عرض الحائط وينبذ اللفظ ويشرب فى قلبه حب الروح ويفقه المعنى فيحل العقدة باسرع مما عقدت .

ذو القرنين

أما ما صنع اسكندر المقدونى الكبير تلميذ أرسطوطاليس الفيلسوف العظيم فى أوائل القرن الثالث قبل المسيح فهو أنه زار أحد هياكل آلهة اليونان فرأى عقدة معقودة ومحبوكة ، فسأل عنها ، فقال له الكهنة والمتنبئون والسحرة والنفاثات فى العقد : أن من يحل هذه العقدة يفتح آسيا ، فجرب فلم يفلح ، ولكن أومض فى صدره قبس العبقرية التى استمدها من معلمه فلم يلبث أن استل سيفه وحل العقدة بقطعها وترك الذين حوله مصعوقين ، وفتح أمامه السبيل الى فتح آسيا

المتنبي

وأما المتنبي فحكاية ماصنع مبنية على بيت قاله من قصيدة هى من عيون قصائده . فقد أكثر فى زمانه من التبرم بالناظمين الذين سماهم متشاعرين وقال انهم غروا بذمه ، ويحذرهم على ذلك الذم لانه داء عضال لهم « ومن ذا يحمل الداء العضالا » . وانهم كثيرو الادعاء ، اذا برزوا له فى نزال عجزوا عن أن يأتوا بشىء ، وجاء هو بكل شىء ،ولذلك قال « فكم منهم الدعوى ومنى القصائد »

ولما اشتدت منافستهم له وابو فراس فى جانبهم جمعهم ذات يوم بمجلس سيف الدولة ، فقالوا فيه ماقال مالك فى الخمر ، وهو ينشد البيت فى اثر البيت ، وهم يقولون سرقت هذا من هذا القائل ، وذاك من ذاك القائل ، حتى مل سيف الدولة وضجر وحتى قيل إنه رماه بدواة فأدماه ، فارتفعت من سويدائه شرارة العبقرية التى ماخانت العبقرى مرة ، فمد يده إلى حيث استعار سيف الاسكندر ، وفك به رؤوس هاته الزعانف ببيته المشهور الباقى على الزمان بقاء قصائده

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم ألم

ويكفى ثوابا له أن يقوم سيف الدولة عن سريره ويقبله فى جبينه ، اذ كان هذا البيت امضى من سيف الاسكندر ، وكان فى حده الحد بين لعب خصومه وجده ، والفارق بين باطلهم وصحيحه ، وأغنى عن التمادى فى خصومتهم ومماحكاتهم ، ورد عداوتهم فى نحورهم « وعداوة الشعراء بئس المقتنى » كما قال فى احد ابياته

وقد أشار الى هذه الحادثة ببيته الآخر الذى جرى مجرى المثل ككثير من شعره وهو :

انام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

قال إن شوارد الشعر وقوافيه لاتقلق لى بالا ولا تورق لى نوما وانما يقلقنى الحزن على حبيب راحل وتورقنى الصبابة ، فانشد القصيدة ناعما خلى البال وانام ملء جفونى على حين ان هؤلاء الادعياء يسهرون لياليهم مختصمين ولا يفتح عليهم بشىء.

لورد كرومر

قد تعرض فى القانون حالات تحسب فيها المحافظة على القانون سخافة وكسره حكمة وعقلا . وقد يقف الجندى فى الميدان مواقف يحيد بها عن أوامر رئيسه ويعصاها فيدفع بذلك كارثة كبيرة . وبمقتضى الاحكام العسكرية يجب أن يقتل ، ولكنه لايقتل لأنه عاذ بعقله فى موقف ، طاعة الامر العسكرى فيه خطأ ، وعصيانه صواب . والذين عرفوا تاريخ نلسن الشهير عرفوا أنه خالف أوامر رؤسائه غير مرة ، وان ذلك حال دون ترقيته الترقية العسكرية المعتادة ، ولكنه لم يحل دون صعوده الى اعلى مراقى الشهرة البحرية العالمية على يد عبقريته

كان فى القاهرة فى أواخر القرن الماضى مطبعة اسمها المطبعة العثمانيـــة فنقل الى مختار باشا الغازى القوميسير العثمانى العالى حينئذ ، ان فيها قائمة باسماء اعضاء حزب تركيا الفتاة فى جميع انحاء السلطنة العثمانية ، وكان السلطان عبد الحميد يخشى بأس تلك الجمعية واعضائها الاحرار ، ولو عرفهم باسمائهم لأهلكهم فى جملة من أهلك منهم ، ولشرد اهلهم واسرهم كل مشرد ، فرأى مختار باشا ان الفرصة سانحة للزلفى من مولاه (وتحسين مركزه) فاستعان بالخديو ، ورأى الخديو أن الفرصة فريدة (لتبييض وجهه) فى الاستانة فامر ففوجئت المطبعة واقفل صندوقها الحديدى وختم بالشمع الاحمر انتظارا لحكم المحكمة

وألهم الله من أطلع لورد كرومر على المسألة وأخبره بعاقبة وقوع تلك القائمة فى يد الآستانة ، فارسل مندوبا من قبله ومعه سيف الاسكندر ففض ختم الصندوق الحديدى وفتحه وأخذ جميع ما كان فيه من الاوراق . وبذلك انتهت المسألة وقطعت العقدة . ولو تركت للمفاوضات الدبلوماسية ما انتهت بانجح من المفاوضات الدبلوماسية فى مسألة نزع السلاح الآن !

ولم يسمع بعدها حس ولا ركز فى موضوعها ، ولاهمس هامس كبيرا كان ام صغيرا ، سوى احتجاج الصحف على انتهاك حرمة القانون وتدنيس قدس القضاء .

مصطفى كمال

رواية الامريكى التائه معروفة ؛ فر من العدالة الامريكية الى فرنسا ومن فرنسا الى اليونان ، لانه رأى فرنسا خطراً عليه واليونان برداً وسلاما على قلبه . فانزل فى هذه على الرحب والسعة . فطلبته أمريكا فحكمت محكمة اثينا العليا بان تسليمه لا يجوز فى نظر القانون الدولى ، اذ ليس بين أمريكا واليونان معاهدة لتسليم المجرمين

فردت أمريكا بأن فى أرضها نصف مليون يونانى ففهمت اليونان هذا الوعيد ، ورأت ان تنذر الامريكى التائه ففر ، ومازال تائها بباخرته حتى مر بالاستانة ووقفت باخرته فى مياهها . فطلبت أمريكا من تركيا أن تسلمه اليها ، وبلغ الطلب مصطفى كمال طبعا

وقيل له القانون الدولى ، ثم القانون الدولى

فسكت هنيهة ريثما راجع فى مخيلته حكاية الاسكندر ، وحكاية كرومر ، وتصور رجال القانون يسهرون ويختصمون على حرف القانون وتفسير القانون ، فضحك من منظرهم هذا وقال مع المتنبى

انام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ثم جىء اليه بخاتم المارد فسمع هاتفا يقول «لبيك ! عبدك بين يديك» فقال مصطفى كمال ايتنى بسيف الاسكندر . فاذا السيف امامه ، فتناوله وضرب به عقدة القانون الدولى فقطعها . ولو تركها ما حلتها محكمة لاهاى ولا هاواى ولا شنغاى !

ثم أمر فسلم الاميركى التائه الى دولته وترك اهل القانون يتشاتمون ويتضاربون ثم ينصرفون

العالم احوج مايكون الى رجال امثال هؤلاء يحلون عقد العالم بأعمال توحيها العبقرية ، وهو أعظم مايكون غنى عن الذين يقولون مالا يفعلون ، ويقشرون النعنع والكمون ، ويهملون اثقل الناموس الحق والرحمة والايمان ، وينبذون روح القانون ويتعلقون بحرفه ونصه .

(ن . ش)

مختار دائما . . . !

للاستاذ محمود خيرت

ولماذا لا نذكره دائما ، وهو الذى بعث الفن القديم من مرقده ورفع عنه غبار الماضى الطويل ، ونشره بيننا فى زى جديد تحسده عليه آثار العصر الحاضر ؟ إن هذا الشاب الراحل كان النواة الاولى لفنه . وما أنا بمبالغ اذا قلت إن فن النحت والتصوير كان معدوما من قبله هو وإخوانه (محمد حسن ، ويوسف كامل ، وعلى الأهوانى ، وراغب عياد ، وعلى حسن ، وغيرهم من زينة مصر الآن)

انهم جميعا كانوا من عمد النهضة الحديثة التى أنشأ معبدها المرحوم باولو فورشيللا استاذهم واستاذى أيضا . . . وقد كنت أذهب الى مصنعه وأنا محام فعرفتهم وعرفونى ، وكنا جميعا تلاميذه وان كانوا بالمدرسة وأنا فى أوقات فراغى بهذا المصنع نجتمع عنده ونذهب منه الى حيث المرج أو عزبة النخل أو شاطىء النيل أو بعض أحياء القاهرة القديمة نصور وأستاذنا يطوف بنا كالقائد يدلنا على مواضع أخطائنا . وكالأب يتلطف معنا ويغرس حب الفن فى نفوسنا . حتى نبغوا وكان على رأسهم تلك الشعلة المتقدة الراحلة .

لازلت أذكره وهو بمدرسة الفنون الجميلة بدرب الجماميز فتى وسيما غزير الدم ، مرسل الشعر ، حلو الحديث ، جم الحياء ، عاشقا . . . ولكن لفنه يتلذذ بذكره فى كل لحظاته . . . ولا زلت أذكر يوم زارنى عند الغروب يطلب الى فى لهفة بعض صور لتماثيل غربية عن الحب ، فعرضت عليه ماعندى منها . فلما كان اليوم التالى دق التليفون عند الساعة الخامسة صباحا . . . وكان المتكلم هو يذكر أنه لم ينم تلك الليلة كلها ، وقد غمره شغفه بوضع تمثال للحب على النحو الذى فكر هو فيه . بل إنه كان يكلمنى من المدرسة . . . لأنه لم يستطع صبرا فما كادت الشمس تشرق عن الافق حتى قصد اليها ووضع فكرته فعلا . وطلب الى الا اتأخر عنه لأرى ماوضعه . وكان تمثاله الطينى يمثل فتاة عارية متناسبة الاعضاء جميلة الوجه لها نظرات زائغة ، كأنها ترى فى الفضاء شبح الحب مقبلا عليها وكأنها تخافه فتدفعه بساعديها الممتدين ، وقد ستر موضع عفتها بحمامتين تتناغيان على مانى الصورة المرصودة هنا وقد عنيت بالتقاطها وقتئذ .



مختار وهو فى المدرسة

كان مختار لايعرف للنوم معنى ولا لملاذ الحياة طعما ، الا ما كان منها متصلا بفنه الذى يعشقه عشقا ويهيم به هياما ، وهى مواهب من تهيئهم الاقدار للنبوغ حتى أننى لما أرسلت بنسخة من تلك الصورة الى المسيو لابلانى ناظره واستاذه ، وكان وقتئذ بفرنسا بسبب العطلة المدرسية — أرسل يطلب الى أن افتح عينى مختار الى الشهرة التى تنتظره وأنه سيكون فى يوم قريب فخر مصر ، بل فخر العالم كله (هكذا) . وعند ذلك اقبلت عليه أزف اليه هذه البشرى ، وسلمته ذلك الخطاب الذى يعد أول وثيقة تنبأ فيها استاذه النافذ البصيرة بما سيكون له من الشأن .

وهكذا أصبح مختار حديث المجالس الفنية فى فرنسا حتى اختارته (وهو مصرى) مديراً لمتحف جريفين الشهير ، وحتى ابتاعت بعض آثاره تزين به متاحفها ، وحتى صور لنا آلام مصر وآمالها ونهضتها فى تمثاله الخالد .

لم يكن مختار من أولئك القاعدين المقلدين فيسير على أسلوب فالكونيه وكافوفا وكلوريون ، أو جيروم وكاربو وبارتولوميه ورودين ، فتخرج آثاره موسومة بطوابعهم وتفنى روحه الفنية فى أرواحهم ، وانما كان نفسا يعز عليها ألا يكون لها شخصية مستقلة متقدة بالامل ، ظمأى الى النهوض ، وثابة الى أبعد مراتب المجد حتى انه قبل قيامه الى فرنسا لاستكمال علمه أشار الى ذلك فى شعر قاله ثم بعث به إلى ، اثبت منه هذه الابيات لأن أكثره غير موزون ولا مصقول ، وان دل على سمو هذه الروح .

وقائلة ما بال شعرك مسدلا ... فقلت لها إن الفنون جنون
أعلل نفسى بالمعالى تخيلا ... فياليت آمال الخيال تكون
سأرفع يوما للفنون لواءها ... ويبقى لذكراها بمصر رنين

من ذا الذى يصهر نفسه مثل هذا الهيام الفنى ويغمرها مثل هذا الأمل الحبيس فى خدر الطفولة والاعتراف من العلم ولا يكون له من هالات الظفر والمجد والشخصية نصيب ؟

واذا كان وهو لا يزال بمصر طالبا لم يرض لتمثاله (الحب) الا أن يطبعه بصورة خاصة من وحى نفسه وعصارة خياله الذى كان وليد سهره تلك الليلة الطويلة التى مربنا ذكرها ، فكيف لا نلمس هذه الشخصية الناضجة فى تمثاله الذى رمز به للنهضة .

ولقد تعاقبت القرون وأبو الهول (ذلك التمثال الصخرى القديم) غائر فى رمل الصحراء ، محدق بنظره فى الفضاء ، صامت صمت الحجر الصلد الذى نحت منه ، حتى هيأت الأقدار لمصر ولدا من أولادها البررة الشجعان يخرجه من صمته ويحركه من سكونه . فمثل لنا مختار إلى جانبه مصرية نبيلة شامخة بأنفها تنظر إلى المستقبل فى عزم وإيمان كما أنهضه من رمل الاحقاب الخالية كانه يتطلع مطمئنا الى هذا المستقبل .

وبعد ، فعد معى ايها القارىء الكريم الى ما ذكرت من ذلك الشعر وهو قوله :

وقائلة ما بال شعرك مسدلا ... فقلت لها ان الفنون جنون
اعلل نفسى بالمعالى تخيلا ... فياليت آمال الخيال تكون
سأرفع يوما للفنون لواءها ... ويبقى لذكراها بمصر رنين

ألا ترى انه خط هذا الشعر السهل بمداد من سائل شعوره الفياض بحب الفن وحب مصر والوعد برفع لوائها خفاقا بين الوية النهضة الحديثة . وفى مكان آخر من هذه القصيدة اشارة الى ما كان يعانيه من عشيرته فى سبيل هذا الحب وهو صابر ثابت سائر فى طريقه الذى رسمته له آماله ، حتى حققها بعد ان كانت خيالا ، وحتى بر بوعده فكان صادقا ، وحتى خلدته آثاره بعد موته كما اشتهى ...

ان مختارا كان وحده كوكبا مضيئا سيارا ، ولكن شاء الحظ الساخر الا يتم الا دورة واحدة من مداره . فهل يكتب لمصر ان يخلفه كوكب آخر يعيد سيرة هذا المدار ؟

محمود خيرت

بقلم قضايا المالية

استيلاء المغول على بغداد

لنصير الدين الطوسي

صفحة تاريخيـــة لم تنشر

ذكر المؤرخون على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم حادثة سقوط بغداد، على يد المغول وأفردوا لها المجلدات الضخام، ولكن الامر الذى يستحق الاعتبار أكثر من كل شيء هو أن نقرأ تفاصيل هذه الحادثة بقلم البحاثة (الخواجه نصير الدين الطوسى) الذى رافق الحملة التترية الى بغداد وحضر الواقعة بنفسه وكتب مارآه وماسمعه بدون تحزب كما سيتضح لك من هذه الوجيزة التى أخرجها حديثا من بين رسائل العلامة الطوسى الخطية «رسول النخشبى» أحد كتاب ايران، رأينا أن نرسل بترجمتها للرسالة لاهميتها أولا ولمناسبة ما أورده الاديب فرحان شيلات فى عددى الرسالة ٣٣ — ٣٤ ثانيا

«لما عزم السلطان (هولاكو خان) على أن يلج بلاد الملاحدة (الباطنية) سير من قبله مندوباً الى الخليفة ليطلب منه النجدة حتى يستاصل بذلك شأفتهم ويمحو سطوتهم، فبلغ الرسول الخليفة فحوى الرسالة بقوله يقول السلطان: «انا بعاداتنا البدوية وأسسنا القومية نستنجد بموالينا على اعدائنا، وبالنظر الى الحب والولاء القائم بينى وبينك أرجو معونتنا بخيلك وامدادنا برجالك، حتى تدرأ شر هذه الفئة الباغية التى أريقت بكيدها الدماء وازهقت بغدرها أرواح الأبرياء» فاختلى الخليفة بحاشيته وائتمر مع أصحابه، فاجابه الجمع من الجنود والامراء، بان «هلاكو» يريد بهذه الحيلة إخلاء بغداد من العدد والعدة لتصبح فى وجهه مفتحة الابواب، خالية من الخيل والركاب، فيستولى آنئذ على المدينة بلا توجس خوف وارتياب، ونمسى على مافعلنا نادمين. فانصاع الخليفة لرأى الجلساء وتوانى فى امداد السلطان ورجع الرسول الى سيده بخفى حنين

ولما أن فرغ السلطان من فتح بلاد الملاحدة عاتب الخليفة عتابا مراً وأنذره انذاراً أليما، فارتأى الخليفة أن يستشير وزيره — العلقمى — فاشار عليه هذا أن يحمل ما فى دار الخلافة من فاخر الاثاث وزخرف الرياش على البغال المسرجة والخيل الملجمة ويقدمها هدية للسلطان، وينجو بهذه الواسطة مما يوشك أن يحدث فى ملكه من التدمير والهوان، فقبل الخليفة ماأشار الوزير اليـــه وأمر بتسجيل ما يلزم انتقاؤه من الأشياء، وعين لايصالها نفراً من أركان دولته لعرض المعذرة عند تقديم الهدية، فاجتمع أحد الامراء المدعو «الدوات دار الصغير» مع عدة من صحبه وقال لهم انهذه مكيدة أراد بها الوزير قتل أعواننا ونهب أموالنا، فاذا جيء بالاموال إلى ظاهر البلد ننقض عليها برمتها ونستنقذها لتكون ذخراً ليوم شدتنا، فنمى الخبر إلى الخليفة واضطر الى ابدال الكثير بالقليل، والوافر بالنزر، فاغتاظ السلطان وأرسل اليه أن يحضر بنفسه أو أن يبعث اليه أحد الذوات الثلاثة: الوزير أو الكاتب أو سليمان شاه، فتوانى الخليفة فى انجاز ماأراده السلطان أيضا، فاشتد من أجله غضب السلطان وعقد النية على فتح بغداد، فارسل الخليفة الازبكى مرة وابن الجوزى بن محي الدين مرة فارتدا خائبين. لأن السيل قد بلغ الزبى، وحان الوقت الذى لا ينفع فيه الندم.

ففى شهر شوال سنة ٦٥٥ هـ نهض السلطان — هلاكو — من من همدان موليا وجهه شطر قاعدة الخلافة العباسية. على أن الامير «صوغنجاق» والسردار «تايجونوئين» كانا قد ذهبا مع مقدمة الجيش الايمن على الميمنة مما يلى اربيل عن طريق جبال «شهرزور» كما أن القائد «دقوق» وزميليه «كيد بوقائين» و «انكتانوئين» كانوا على الجناح الايسر من الميسرة التى زحفت إلى (تكريت) و (بيات) وكان فيلق القلب من الجند السلطانى تحت إمرته الشخصية يسير من كرمنشاه وحلوان إلى بغداد. هذا وقدسار «الدواتدار» من بغداد بجيش الخليفة وأتى إلى يعقوبه فخيم بجوارها. أما السلطان فكان قد أوعز إلى أحد قواده المدعو «تايجورا» أن يعبر دجلة ويدخل بغداد من جانبها الغربى — وقد تخلى هو عن رحله وسرادقه عند ما وصل حلوان وخرج منها بسرية من جيشه، وأول حادث حدث هو أن طلائع الجيش الملكى أسرت طليعة من جند الخلافة، ولما مثلوا بين يدى السلطان أقسموا الايمان المغلظة على أن يخلصوا الخدمة من يومهم للملك ويؤدوا له ما يجب عليهم من الصدق والامانة، وكان فى جملتهم أمير من بقايا الملوك الخوارزمشاهية فأرسل هذا كتابا من قبله الى العسكر العباسى مخاطبا به «قراسنقور» أحد أمراء جيش الخلافة بالعبارة التالية: —

«انى وإياكم من جنسية واحدة، أديت الطاعة واتصلت بالخدمة فصرت من المكرمين، فاذا أردتم أن تبرئوا أنفسكم وتشفقوا على

أرواحكم فاعتصموا بحبل الطاعة وتمسكوا بذيل العبودية لانى لكم من الناصحين .»

وبعدما قرأ « قرانسنقور » الكتاب أجاب الامير المذكور بما يلى : ـ « متى صارت لهلاكو تلك المكانة التى يتمكن بواسطتها بلوغ هذه الغايات ، ولعمرى أن هذه الدولة العباسية قد شاهدت كثيرا من أمثاله واقرانه ، هذا وان مجيئه بهذه الصورة الى بلاد الخليفة وتدميرها بهذه الصفة لدليل على انه يريد فى الارض علوا وفسادا ، وان أراد غفران ذنوبه وقبول اعذاره فليرجع الى همدان حتى أتشفع له بواسطة « الدوات دار » لدى الخليفة ليعفو عما سلف منه »

وبعد ما وقف السلطان على فحوى الرسالة ضحك ضحكة المتهكم وقال « نعم إن الأمر بيد الله وانه فعال لما يشاء » وبعد ما عبر القائدان دجلة ظن البغداديون أن هذه الجيوش والعساكر ما قطعت النهر الا تحت قيادة هولاكوخان الخاصة ، ونمى الخبر الى « الدوات دار » فقفل راجعاً من بعقوبة الى بغداد ، وعبر دجلة فالتقى « بصوغنجاق » الذى كان فى مقدمة الجيش المغولى ، ووقعت بينهما معركة انكسرت فيها عساكر « صوغنجاق »

والتجأ الاخير الى الفرار ، ولكن الذى حصل لعسكر « الدوات دار » عند اشتباكه بالحرب مع « تا يجونوئين » القائد الثانى دعا لضياع النتيجة ، ضاقت عليه الاحوال فآب « الدوات دار » راجعا بجمعه المتفرق الى بغداد .

أما السلطان فامتطى جواده وعبر « ديالى » مع جمع من عسكره إلى أن بلغ ظاهر بغداد فى منتصف شهر محرم سنة ستمائة وست وخمسين ، وارسل « بوقاتيمور » مع جيش ليحيط ببغداد من جانبها الغربى ، وأمر أن يقيم الجند حائطا يحتضن المدينة من كل الجهات ، ثم نصبت عليه المجانيق وهيئت المؤن والمعدات اللازمة للحرب والقتال

ولما أحس الخليفة بذلك اجتمع باصحابه ليتشاوروا فى الخطب ، فقال بعضهم اذا أردنا أن نقدم لهم الهدايا الفاخرة ونفتدى المدينة بالدرهم والدينار فعسى أن يحملوا هذا دليلا على الخوف والهوان ، والاصلح إيفاد الوزير « صاحب الديوان » مع « ابن الدربوس » بقليل من التحف والرياش ، فاستحسن الجميع قوله ، فلما احضر صاحب الديوان وزميلاه الى السلطان قال : لماذا لم يحضر عندنا « سليمان شاه » و « الدوات دار » ؟ فاجيب بان السلطان كان قد كتب للخليفة أن يبعث واحداً من هؤلاء الثلاثة ، فارسل الخليفة الوزير الذى هو أكبرهم ، فقال السلطان نعم . ولكن أردت ذلك فى همدان ، وها أنذا فى بغداد ، هذا وبعد أخذ ورد ظهرت بوادر القتال ظهوراً تدريجيا ، وابتدأت العساكر المغولية الحرب فى ٢٢ محرم وحمل السلطان بنفسه على بغداد من جانبها الشرقى تجاه برج العجم ، وحاربت عساكر « كبه بوق » بالسهم والنشاب ، وكان القائدان « بلغاى » و « سناى » يتقاتلان فى الجانب الايمن للمدينة . وأما « بوقاتيمور » فانه انهال بجيشه على بغداد من الجانب الغربى فى أرض كانت تعرف حينذاك « بروضة النقل » ، أما تايجونوئين ، و « صوغنجاق » فقد احتوشا المدينة وزحفا عليها مما يلى المارستان العضدى ، ودام القتال الشديد لمدة ستة أيام بلياليها ، وأمر السلطان أن ترسل ست رسائل بواسطة النشاب لجماعة السادة والعلماء والاركان والمشايخ وغيرهم ليفهموهم بان الجيوش المغولية لا تتحرش بهم ان القوا سلاحهم وكانوا فى حياد . ولما بزغت شمس يوم الثامن والعشرين من شهر المحرم الا وتمكن العسكر المغولى من الاستيلاء على برج العجم ، وقبل صلاة ظهر ذلك اليوم تم النصر للمغول بانحدار البغداديين انحداراً عظيما ووقوع المدينة فى قبضة التتر ، وكان قد ارسل السلطان وحدات من جيشه للحراسة على دجلة من أعلاها الى ادناها وللقبض على الذين يريدون الفرار ، واتفق ان صادفوا ثلاث سفن تحمل اثاث « الدوات دار » وشيئا كثيرا من أمواله وسلاحه وغير واحد من رجاله وصحبه من جملتهم نقيب العلويين ، فاوقفوها عن السير برشاشات النفط النارية ، ولما تمكنوا منهم قتلوهم جميعا حتى النقيب العلوى وصادروا جميع مافيها من المحمولات ، هذا وقد أمر السلطان أهل بغداد أن يشتركوا جميعهم بهدم الدور التى تحيط بالبلد ، وبعد ما اعلن السلطان العفو العام استأذن الخليفة السلطان للخروج من بغداد لانه تحقق من نفسه وجيشه الضعف الكامل ، وانه باء بالفشل المبين . والخلاصة ان الخليفة قابل السلطان فى « باب كلواذ » بجمع حاشد من السادة والأئمة والمشايخ والاركان ، وهذه هى المقابلة التى كانت تعد آخر يوم من ايام الخلافة العباسية .

ثم صدرت اوامر السلطان فى ان يبادر الجند بنهب المدينة وغزو ما فيها من الاموال . وفى يوم الأحد الموافق لرابع شهر صفر سنة ٦٥٦ هـ دخل السلطان المدينة وولج القصر العباسى ثم دخل الغرفة التى كانت معدة لجلوس الخليفة عند ما يريد القراءة والكتابة

وكان الخليفة حاضرا هناك مع نفر غير قليل من العلماء والاشراف ، فتقابل السلطان معهم وتكلم بعد ذلك مع الخليفة وقال له اين الهدايا ؟ فاحضرت له فقسمها السلطان بين رؤساء الجند وقادة الجيش ، ووضع السلطان طبقا مملوءه الذهب الابريز أمام الخليفة وقال له تقدم وكله لسد جوعك ، فقال الخليفة ليس هذا مما يأكل الانسان ! فقال السلطان إذن ما ضرك لو كنت قسمته على اعوانك وجيشك ليكون وسيلة لقوة أمرك وداعيا لنصرتك ؟ ولم لم تخلع هذه الحدايد التي غلقت بها هذه الابواب ليصنعوا منها سهاما تمنع عبور أعدائك من الجيحون « دجلة » ؟ فاجاب الخليفة كل ذلك كائن بتقدير الله ، فقال السلطان نعم وإن الذى سيجرى عليك يكون بتقديره أيضا . ثم أمر السلطان أن تدخل النساء اللواتى باشرهن الخليفة أو ولده بقصر دار الخلافة ، وأذن بدخول الوصائف والخدم أيضا ، وأحصيت فكانت « ٧٠٠ » امرأة و « ١٣٠٠ » وصيف وخادمة . وبعد أسبوع أعلن الامن العام وجمعت الغنائم والاسلاب

وفى اليوم الرابع عشر من صفر خرج السلطان من المدينة وأمر باحضار الخليفة بظاهرها فأحضر مع ابنه الاوسط وخمس أو ست من خدمه الخصوصيين فوقعت الواقعة وصار ماصار وانتهت آخر أيام الخليفة العباسى فى ذلك اليوم ، وفى اليوم التالى قتل نجل الخليفة الاكبر وشتت بعد ذلك شمل الحرم والنساء فتفرقوا ايدى سبأ . ثم أمر السلطان بعد ذلك بتعمير بغداد ودفن أجساد البشر والحيوانات التى كانت مطروحة فى الطرقات بعدما نصب الوزير — ابن العلقمى — للوزارة وصاحب الديوان لديوانه ، وأعطى امارة الجيش لابن الدربوس ، وسلم ادارة الشرطة فى بغداد لرجل يدعى — استونها — وبعد ذلك رحل من بغداد الى حيث يريد محفوفاً بهالة من النصر

وكان السلطان قبل رحلته من بغداد سير « بوقا تيمور » بحملة أخرى لاخضاع الحلة وواسط فخضعتا وتوجه « بوقا تيمور » بعد ذلك نحو مدينة « تستر الاهواز » بقصد الاستيلاء عليها ورافقه شرف الدين بن الجوزى الى هناك .

وأما الكوفة والبصرة فانهما أظهرتا الخضوع والطاعة بلا أدنى حرب أو مقاومة .

كربلاء عباس علوان الصالح

٥ – بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

لقد وعدنا فى العدد الماضى أن نذكر أحراس الجحيم من الشياطين فى خيال دانتى . وفى الحق انه افتن فى وصفهم . وجعل منهم أولى أذناب يطوقون بها المعذبين مثنى وثلاث ورباع . وآخرين فى صورة كلاب تعددت رءوسها وأفواهها . وجعل منهم من يصرخ ويصيح بصوت تنبو عن جرسه الاسماع . .

جمهرة من المردة استغل الشاعر مواهبه الى أقصى حدودها فى وصفهم محتفلا بذلك الوصف حتى جعل لهم مدينة تخصهم لا يلجها سواهم

فنى بعض طبقات الجحيم ، وعلى ضفاف نهر اكرونتى Achronte يقف الشيطان كارونتى Caronte بزورقه ينقل فيه المعذبين من مكان الى مكان ضاربا بمجدافه كل من أبطأ به ضعفه أو تمرده . وفى بعض جنباتها يرى الشيطان شربيرو Cerbero فى زى كلب ضخمت جثته ، وتعددت رءوسه وأفواهه ترسل الصراخ والنباح عاليا تكره الآذان . . وفى بعض نواحيها يرى الشيطان بلوطو Pluto ملحا فى هذيانه بصوته الذى لا تبين نبراته . ويبعث رنينه فى القلوب الفرق والرعب والهلع .

ثم يحدثنا مرة أخرى عن شيطان له زورق يعبر عليه أهل النار بركة سوداء قائمة يتقلب فى أوحالها وأقذارها المتكبرون والحاسدون . ذلك الشيطان هو فليجياس Flegias . كما حدثنا عن الشيطان مينوتاورو Minotauro الذى ترائى فى ظلمات الجحيم متخذا هيئة ملفقة من الانسانية والحيوانية ، نصفه ثور ونصفه آدمى

الى كثير من زبانية ومن شياطين افتن شاعر الطليان فى وصفها افتنانا جعله يختصها بمدينة (ديتى Dite) . تلك التى اشرف دانتى منها على أبراج وقباب يلفحها لهب الجحيم . وينعكس عليها ضوء النيران . ولم يكد يخطو نحوها يريد اختراقها حتى اعترضه ألف من الزبانية يحتجون على دخوله مدينتهم واختراقه حرمتهم . ولقد كانت الشياطين كلما اعترضته فى طريقه أو ارادت إلحاق الاذى به هرع إلى فرجيل فاستنصر به ، فاقنعها فرجيل بالارادة السماوية التى تأمره بالمسير فخلت له السبيل . بيد ان المردة من (ديتى) أبوا إلا إعراضا وعصيانا فأغلقوا من دونه أبوابهم ، فوقف الشاعر مشدوها يعجب لمئات الشياطين من حوله . ولثلاث من إناث الجن وقفن فوق أكبر البروج مولولات صائحات . وليس خضابهن الحناء بل يصطبغن بالدماء . وتدور على أوساطهن الثعابين ، وتنسدل على أعناقهن ورؤوسهن الأفاعى مكان الشعر متكاثفة يركم بعضها بعضا . ولا زال دانتى تحيط به المرعبات من كل الجوانب حتى جاءه ملك كريم أهوى نحو الشياطين بعصاه ففتحت له أبوابها . واخترقها دانتى ذاهبا لطيته ، واستكمالا لرحلته ، بين حراس الجحيم وعذاب العاصين مسهبا فى الحديث عنهم . بينا المعرى لم يسهب فى وصفهم فلم يكن له غرض فى ذلك بله الافتنان فيه ، فهو لم يرد ذكر العصاة والمجرمين يصف للناس عذابهم عظة وذكرى حتى يفتن فى وصف ذلك العذاب . وفى وصف الزبانية والاحراس الموكلين بالعذاب ، وإنما هو رجل لغة وأدب وشعر . يتلمس الطرق الشائقة ليبرزها طريفة محببة للنفوس . فلم يعرض لخزنة النيران الا قليلا . على حين انك ترى دانتى همه وصف المجرمين والخائنين : خائنى أوطانهم واخوانهم وأهليهم ، معملا خياله فى وصف المعذبين ، وفى وصف الموكلين بعذابهم حتى ينفر الناس من الخطيئة ، ويتجافوا عن المعصية .

ابليس فى الروايتين

ذكر الجحيم يتتبع ذكر إبليس . وابليس رمز الشر حتى عند عبدة الشيطان ، فهم يعبدونه اتقاء لشره . فتحدث عنه المعرى ولم يغفل دانتى ذكره . وكلاهما صوره فى آلامه واوصابه . وفى عذابه وما يلاقيه . بيد أنك اذ تقرأ وصف المعرى له تغرق فى الضحك وتعلم أى سخرية بلغها أبو العلاء . وأى دعابة أغرق فيها رهين المحبسين . وتعلم من بعد ذلك أن صاحب رسالة الغفران هو أشد كتاب العربية جرأة على ما لم يجرؤ عليه أحد غيره .

وسأنقل اليك ماذكره عن ابليس متدرعا بالشجاعة أنا الآخر حتى فى النقل ، ولولا أن واجب الموازنة يضطرنى للنقل . ولولا أن حاكى الخبر ليس بمسئول عنه ، لضربت صفحا عما سطره المعرى عن ابليس . فقد ذكره وهو يحاور ابن القارح يسائله عن صناعته

ويذم له حرفة الأدب . ويسائله عن أعمى البصرة بشار بن برد ذى اليد عليه كما يقول حين فضله على آدم . ثم يستفتيه فى تحريم وتحليل . . وفى احكام فقه ودين . . .

. . فدونك ذلك القصص أكتبه ، وأترك للقارىء تفهم ماتحدث به المعرى فى خلاله . قال المعرى محدثا عن ابن القارح (ثم يطلع على أهل النار فيرى ابليس لعنه الله وهو يضطرب فى الاغلال والسلاسل ، ومقامع الحديد تأخذه من أيدى الزبانية ، فيقول الحمد لله الذى أمكن منك ياعدو الله وعدو أوليائه ، لقد أهلكت من بنى آدم طوائف لا يعلم عددها الا الله ، فيقول : من الرجل ؟ فيقول : أنا فلان ابن فلان من أهل حلب . كانت صناعتى الأدب أتقرب به الى الملوك . فيقول بئست الصناعة انها تهب غفة (١) من العيش لايتسع بها العيال ، وانها لمزلة القدم وكم أهلكت مثلك ، فهنيئالك إذ نجوت ، فأولى لك ثم أولى ، وان لى اليك لحاجة فان قضيتها شكرتك يد المنون ، فيقول : انى لا أقدر لك على نفع ، فان الآية سبقت فى أهل النار ، أعنى قوله تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) فيقول : انى لا أسألك فى شىء من ذلك ، ولكن أسألك عن خبر تخبرنيه ، ان الخمر حرمت عليكم فى الدنيا وأحلت لكم فى الآخرة ، فهل يفعل أهل الجنة بالولدان المخلدين فعل أهل القريات ؟ فيقول : عليك البهلة ، أما شغلك ما أنت فيه ؟ ! أما سمعت قوله تعالى (لهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) . . ؟

فيقول : وان فى الجنة لأشربة كثيرة غير الخمر فما فعل بشار ابن برد ؟ فان له عندى يداً ليست لغيره من ولد آدم ، كان يفضلنى دون الشعراء ، وهو القائل

ابليس أفضل من ابيكم آدم ... فتبينوا يامعشر الاشرار
النار عنصره وآدم طينة ... والطين لايسمو سمو النار

لقد قال الحق : ولم يزل قائله من الممقوتين)

فى تلك الصورة الهازئة الساخرة يرسم لنا المعرى ابليس تضربه المقامع . ويضطرب فى الاغلال . وهو لاينى يسأل ابن القارح تلك الاسئلة السفسطية من ناحية ، البذيئة من ناحية أخرى .

(١) بلغة يسيرة

ولكن المعرى جمح به خياله فى تلك النوبة فتكشف عما ترى ودانتى بماذا وصف ابليس ؟ وماذا تخيرله من طبقات الجحيم ؟ وعماذا سأله ؟

لقد تخيله تعصف به الثلوج فى ظلمات السعير . ويهلكه الزمهرير فى الهاوية . وهو فيما بين الثلوج والعواصف كطاحونة الهواء تقلبه الرياح كيفما أرادت

ثم اختار له الدرك التاسع من جهنم وهو اسفل طبقاتها وأشدها هولا وبلاء .

ولم يسأله فى الادب ، ولا عن أحد الشعراء . ولا عن أحكام تحليل وتحريم . ولم يكن له سعة اطلاع المعرى حتى يدخل فى نحو ذلك النقاش . بل انساق يعلل ما أحاط به من عذاب اليم بأنه كان ملكا صوره ربه فأحسن صورته ، وأعطاه جمالا يفرع فيه كل مخلوق ، بيد أن نفسه المليئة شرا وخبثا جعلته يسرف فى الغرور حتى تمرد على ربه فطرده من جنته ، وبقى طيلة عمره مذموما مدحورا ، وله فى الآخرة عذاب شديد .

يتبع — محمود احمد النشوى

أيهـــا الشرق . . !

أيها الشرق ! ياوطنى الكبير ،

أهتف بك فتستبق إلى عينى صور باكية دامية ذليلة ، وتتدفق على ذهنى ذكريات بعضها شجى يزجى الألم حادا عنيفا ، ويذكى الدم حارا مستعرا ، وبعضها حلو يثمل النفوس بالفخر ، ويهز الأعطاف بالاعجاب . .

ولكنك الآن ذليل أيها الشرق ! آه لو استطاع هـذا القلم الضعيف أن ينفث فى نواحيك الايمان ، ويبعث فى جوانبك الأمل ، لكان سعيدا ، أنت ياوطنى مهبط الحضارة ومسقط النور ، ما فى ذلك شك . أنت مجال الأبطال والقوة ، ومراد الحكمة والنبوة ، ومخرج الدعاة والقادة ، هذا حق لاتخلص إليه شبهة ، ولا تنصرف اليه ريبة .

ليقل - كبلنج - إن الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان - فلسنا نتوقع من دعاة الاستعمار أقل من هذا . . ولكن الحقيقة تلطم كبلنج وتلزم المكابرين من أمثاله حدود الاقتناع

فان كانت اوربا تفخر بنابليون لأنه عبر الالب وتخطى البرانس ، ونلسن لأنه كسب موقعة أو موقعتين ، وولنجتن لأنه ذبح مليونا أو يزيد ، فان الشرق ليتيه بزغلول لأنه قهر انجلترا بغير السيف والرمح ، وغاندى لأنه هز انجلترا بغير الحديد والنار ، ومصطفى كمال لأنه دوخ فى ساح الحرب أصحاب الغازات الخانقة والطائرات المحلقة والمدافع الرشاشة . . . ! وابراهيم لأنه طرق أبواب اليونان مرات وعيث بجبل أولمب مهبط الوحى وملعب الأبطال ومستقر الآلهة ! !

وإن كان للغرب أن يفخر بروسو وفولتير وشكسبير وجوت ، وبيرون ، فان الشرق والعالم يفخر بالافغانى ومحمد عبده وابن خلدون والمتنبى وفيلسوف المعرة . الشرق غنى برجاله قوى بأبطاله ، خصب بحضاراته . . . ولكنى بعد هذا ومع هذا لا أستطيع إلا الاعتراف بالحق — وليس ينكر الحق الا الضعاف — والحق أن الشرق كان فتيا فأصابه الكبر ، وكان قويا فأخذه اليأس والخور ، وكان عاملا فجنح إلى الراحة واستراح إلى المسالمة . . . هذا هو المنطق الذى يرضى الله والعقل والناس ، والحق إننا نغالى فى تقدير ماضينا ونشغل به عن حاضرنا . وهل أتاك حديث المرأة الصلعاء التى أخطأها الزواج لصلعها فكانت إذا جاءها الخاطب ثم هم بأن ينصرف استوقفته قائلة « ألم تر إلى خالتى إن لها شعرا جميلا ! ! » ، هل لمحت وجه الشبه ؟

الشرق محتل كله أو يكاد : تضرب فى نواحيه الخيام الدخيلة ، وترفرف على سواريه الأعلام الغريبة ، وتحلق فى سمائه الطائرات الأجنبية . . . وأهل الشرق نيام ضربت عليهم الغفلة وملكهم اليأس واستبد بهم الخور وانشقت بهم العصا .

يا أبناء الشرق ! إنى أخاف عليكم اليأس أن يدرككم فيشل عقولكم ، ويغل أيديكم ويضل هداكم .

أنا أعرف وأعترف أن الغاية بعيدة ، وأن السبيل قفر وعر ، وأن الشرق ضعيف الحول والحيلة ، وهـذا بعينه مايلقى فى نفسى الجزع ويردنى الى حيرة تشبه أن تكون جنونا لأنى أخاف عليك أيها الشرق أن تلقى عصا الأمل وتغمد سيف العزيمة وترفع الراية البيضاء . . . !

وأخاف عليك ظاهرة أخرى : فى الشرق تنشق العصا وتتفرق الكلمة وتشت الوحدة ، وتتبدد القوافل فى شعاب الجبال فلا تزال كل قافلة تتهادى وحيدة فريدة فى الوهاد والنجاد حتى ينال منها الجهد ، وتشتبه عليها السبل وتنبت بها الأسباب فى صميم الصحراء . . ! والعدو على المستشرف يرقب ويغرى ويبتسم ، حتى اذا ضمن تصدع الشمل وتقطع الاسباب انثنى فهاجم كل قافلة فى مواضع الضعف منها ، فأطمع الاولى بالرغبة ، وقمع الثانية بالرهبة ، وأغرى الثالثة بالرابعة . . . حتى يستقيم له الامر ويخلو له الطريق ويصفو له الجو . أفليس أجمع للكلمة وأضمن للنصر وأحزم للرأى ، لو تلاقت هذه القوافل كلها فى السهل فضمت شتاتها ولمت شعثها ونظمت نفسها فى سرب طويل قوى ثم سارت على حداء الامل وهداية الايمان . . ؟ ؟

مؤلم هذا الانقسام الذى يشيع فى صفوف المجاهدين فى بلاد العرب وفى مصر وفى الهند ، فى الجزيرة ملكان مسلمان يتحاربان وفى مصر أحزاب تتطاحن . وفى الهند طوائف تجور عن السبيل والغاية . والشرقى المخلص الصادق لايستطيع أن يشهد هـذا دون أن يضيق به ويأسف له ، ويتمنى على الله أن يكشف عن الشرق هذا البلاء . . .

٧ - بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

(تتمـــه)

يقول الحصرى : ان البديع حاكى ابن دريد . وهى رواية جديرة بالاهتمام . ولست أعرف ابن أحاديث ابن دريد إلا أن تكون بعض روايات القالى عن ابن دريد فى الامالى تتضمن هذه الأحاديث أو أشباهها . ومن ذلك ما رواه القالى عن ابن دريد من سؤال اعرابى فى المسجد : « قال أبو على وحدثنا أبو بكر رحمه الله ، قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة عن يونس ، قال وقف اعرابى فى المسجد الجامع فى البصرة فقال : قل النيل ، ونقص الكيل ، وعجفت الخيل ، والله ما أصبحنا ننفخ فى وضح ، ومالنا فى الديوان من وشمة . وانا لعيال جربة . فهل من معين - أعانه الله - يعين ابن سبيل ، ونضو طريق ، وفل سنة ؟ فلا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت . » (١)

وأقرب من هذا الى المقامات حديث المرأة التى سكنت البادية قريبا من قبور أهلها (٢) ، وهو مروى عن ابن دريد أيضا ، ووصية رجل أعمى من الأزد لشاب يقوده (٣) ويؤيد هذا مارواه بن خلكان عن المرزبانى عن ابن دريد (٤)

« وقال المرزبانى : وقال لى ابن دريد سقطت من منزلى بفارس فانكسرت ترقوتى فسهرت ليلتى . فلما كان آخر الليل غمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل على وأخذ بعضادتى الباب ، وقال أنشدنى أحسن ماقلت فى الخمر . فقلت ماترك ابو نواس لاحدشيئا فقال أنا أشعر منه . فقلت ومن أنت ؟ فقال أنا أبو ناجية من أهل الشام وأنشدنى :

وحمراء قبل المزج ، صفراء بعده
أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت أسأت ، فقال ولم ؟ قلت لانك قلت وحمراء ، فقدمت الحمرة ثم قلت بين ثوبى نرجس وشقائق فقدمت الصفرة ، فهلا قدمتها على الأخرى ؟ فقال ماهذا الاستقصار فى هذا الوقت يابغيض ؟

وجاء فى رواية أخرى أن الشيخ أبا على الفارسى النحوى قال أنشدنى ابن دريد هذين البيتين لنفسه ، وقال جاءنى ابليس فى المنام وقال أغرت على ابى نواس ، فقلت نعم ، فقال أجدت الا أنك أسأت فى شىء ثم ذكر بقية الكلام ا ه

فهذه الرواية عن ابن دريد تذكرنا بالمقامة الابليسية والمقامة الناجية من مقامات البديع .

وكذلك وصف الفرس فى المقامة الحمدانية يشبه وصف الفرس فى الأمالى (١) . ويمكن اذا أريد ، ذكر كل مايخطر بالبال ، أن يقال ان ابن دريد أزدى وعيسى بن هشام كأنه ينتسب الى الازد فى المقامة الفزارية .

وفى كتب الأدب كثير من القصص الصغيرة المصوغة فى أسجاع مختارة وكلمات منتقاة . ولكن مهما يقل فبديع الزمان فيما نعرف ، مخترع هذه القصص الخيالية التى عرفت فى الأدب العربى باسم المقامات ، وأما روايات اللغويين فقد رويت على أنها حقائق ، وأريد بها رواية اللغة قبل أى شىء آخر ، وحديث الراوى فيها مرسل لاصناعة فيه ، ولا يقصد فى الرواية على حين يستوى فى المقامة أو يتقارب من حيث البلاغة والفصاحة حديث عيسى بن هشام وكلام أبى الفتح الاسكندرى .

وأما تسمية هذه القصص بالمقامات فلأن أبا الفتح يقوم فيها واعظا أو مستجديا أو محتالا وهلم جرا . وفى القرآن الكريم :

(١) الامالى ج ٢ ص ١٥٧ (٢) الرسائل ص ٧ . (٣) ص ٣١٦
(٤) ابن خلكان : ترجمة ابن دريد

(١) ج ٢ ص ٢٤٢

أيها الشرق . . . أحب أن أعتقد أن سكونك تحفز الاسد قبل أن يقفز ، وأحب أن أسمع أن صمتك استقرار العاصفة قبل أن تزأر وتثور وتدوى ، وأحب أن لو كان سيرك تسلسل النهر قبل أن يفيض ويطغى فيجترف السدود ويكتسح الحدود ويجتاح العالم . وأحب ألا يأكل بعضك بعضا ، وألا يقضى قويك على ضعيفك ، وأحب أخيرا ألا تضيق بالألم وألا يأخذك اليأس ، فلا بأس بالمحن لهيب يصفى الروح وينقى الجوهر وينفى العرض ، ويذكى الحفيظة ويغلى الدم ويفجر الثورات ؟

محمود البكرى القلوصناوى

« عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » . وفى شعر لبيد :

ومقام ضيق فرجته   بلسان وبيان وجدل

وقد استعملت كلمة « مقامة » فى معنى مقام . وفى رسائل الخوارزمى « ولكل مقامة مقالة » (١) . وفى شرح الشريشى لمقامات الحريرى « والمقامات المجالس واحدتها مقامة . والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة ومجلسا ، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ، ولأن المحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس ببعضه أخرى قال الأعلم : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض على فعل الخير . »

والهمذانى نفسه يبين ذلك بقوله فى المقامة الوعظية « قال عيسى ابن هشام فقلت لبعض الحاضرين من هذا ؟ قال شخص قد طرأ لا أعرفه . فاصبر عليه الى آخر مقامته ، لعله ينبىء عن علامته »

يقول الثعالبى إن بديع الزمان أملى المقامات فى نيسابور ، ويظهر أنه أملى معظمها هناك ، وأنه أملى بعد مقامات أخرى كالمقامات الست التى مدح بها خلف بن احمد أمير سجستان . والحصرى يدلنا على تاريخ المقامة الحمدانية يقول إن البديع املاها فى شهور سنة خمس وثمانين وثلاثمائة : وأظنه أملى معظم المقامات قبل هذا

هل ارتجل المقامات ؟

يروى الشريشى عن بعض أشياخه أن البديع ارتجل المقامات ، وأنه كان يقول لأصحابه اقترحوا غرضا نبنى عليه مقامة فيقترحون ماشاءوا فيملى عليهم المقامة ارتجالا . ولا أحسب هذا حقا ، فبديع الزمان نفسه لم يدع هذا ، وقد فخر بالمقامات على الخوارزمى وتحداه أن يأتى بمثلها ، ولم يتحدث بذكر الارتجال ، بل قال انه أملاها والاملاء لايقتضى ارتجالا .

موضوع المقامات

أراد البديع بمقاماته أن يدل على تمكنه فى اللغة ومكانته من البلاغة ، وقدرته على تصريف القول فى فنون شتى . هذا غرضه الأول ، وقد سلك الى هذا الغرض موضوعات كثيرة

وليست الكدية موضوع المقامات كلها ، بل كثير منها لا كدية فيه ، وفى كثير منها لا يقف ابو الفتح موقف المستجدى الا فى آخر المقامة وبعضها ليس فيه الا الاستجداء كالمقامة الساسانية والمجاعية والبخارية والمكفوفية .

ومن أغراض المقامات الوعظ كالمقامة الوعظية والأهوازية ، وفى بعضها الالغاز كالمغزلية والابليسية . وبعضها أنشىء للمدح وهى المقامات الست التى مدح فيها خلف بن احمد : الناجية والخلفية والنيسابورية ، والملوكية ، والسارية ، والتميمية . وبعضها يتضمن الحجاج فى المذاهب كالمقامة المارستانية ، وبعضها للكلام عن الشعراء ونقد الشعر ، كالمقامة القريضية والشعرية والعراقية والابليسية ، وبعضها يتضمن حوادث زمانه وأخلاق معاصريه وأحوالهم ، كالمقامة الاسدية والخمرية التى نرى فيها أبا الفتح اماما فى مسجد يشم رائحة الخمر من عيسى بن هشام وأصحابه فيزجرهم ويشتمهم ، ثم نراه بعد فى حانة يلقاه فيها هؤلاء ، وكالمقامة الرصافية التى ذكر فيها أصناف اللصوص وحيلهم . وهى تشبه القصيدة الساسانية لأبى دلف الخزرجى ، معاصر بديع الزمان .

وهو فى هذا الضرب من المقامات كالمقامة المغيرية ، والحلوانية ، يبين عن علم واسع باحوال زمانه ، ويذكرنا بالجاحظ ، والمقامات البشرية والصيمرية أقرب الى روايات الادباء . وهو حسن الفكاهة جدا فى المقامة المغيرية التى وصف فيها أبو الفتح ضيفه الثرثار ، والحلوانية التى يصف فيها اختلاف رجلين فى الحمام على أجرة عيسى ابن هشام والحلاق المجنون ، والاصفهانية التى وصف فيها الامام الذى يطيل الصلاة .

وانظر قول عيسى بن هشام فيما أصابه فى الحمام : « فاخذنا الى الحمام السمت ، وأتيناه فلم نر قوامه ، ولكنى دخلته ، الخ المقامة الحلوانية

والقصص فى المقامات لا تفصيل فيه ولا اتقان ، وانما هو وسيلة الى مواقف الاسكندرى أو عيسى بن هشام ، ويحس القارىء بعيب فى بعض هذه القصص على قصرها : ففى المقامة الاصفهانية يحدثنا عيسى ابن هشام أنه كان على أهبة السفر فسمع النداء للصلاة ، وخاف أن تفوته القافلة ، ولكنه آثر أن يصلى فابتلى بامام مطيل ممل ، ثم قام رجل فقال من كان منكم يحب الصحابة والجماعة ، فليعرنى سمعه ساعة ، فلم يستطع عيسى الخروج ، ثم قال الرجل قد جئتكم ببشارة من نبيكم لكن لا أؤديها حتى يطهر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوته ، قال عيسى فربطنى بالقيود ، وشدنى بالحبال السود . ويدعى الرجل أن معه دعاء علمه اياه النبى فى المنام ، وأنه كتبه فى رقاع فتسابق

(١) ص ٨٠ ط القاهرة

الناس الى الرقاع ، واثالت على الرجل الدراهم . وعرف عيسى بعد خروجه أنه أبو الفتح ، ولا يخبرنا ما الذى فعل فى أمر السفر الذى بدأ المقامة بحديثه . وفى المقامة الفزارية يقول أنه لقى الاسكندرى فى ليلة يضل فيها الغطاط ، ولا يبصر فيها الوطواط . ثم يقول آخر المقامة ، فحدر لثامه عن وجهه ، فاذا هو والله شيخنا أبو الفتح الاسكندرى ، فكيف عرفه فى الظلام ؟ وفى المقامة الغيلانية يحدث عيسى بن هشام عن عصمة بن بدر الفزارى أنه لقى ذا الرمة والفرزدق ، ولا يقول إنه لقيهما فى منام أو لقى شيطانيهما ، فكيف رأى هذين الشاعرين رجل معاصر لعيسى بن هشام الذى يحدث بديع الزمان .

وأما عيسى بن هشام وأبو الفتح الاسكندرى فيقول عنهما الحريرى فى مقدمة مقاماته : « وكلاهما مجهول لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف . » وكأنه يريد أن يقول انهما ليسا كأبى زيد السروجى ، عيسى بن هشام لا ينتسب الى بلد ، وفى بعض المقامات كلام يمكن أن يؤخذ منه أنه ينتسب الى الازد ، وابو الفتح انتسب فى المقامة العراقية الى عيسى ، وهو منسوب الى الاسكندرية من الثغور الأموية وهى نسبة غريبة . ماذا يريد بالثغور الاموية ؟ يرى شارحو المقامات أنها ثغور الاندلس ، وكانت اذ ذاك دولة بنى أمية . وهذا غريب كذلك فما عرف فى كتب التاريخ أو تقويم البلدان اسم الثغور الأموية ، ولا الظن بالبديع أنه ينسب صاحبه الى الاندلس ويسميها الثغور الأموية ، وهو رجل يكره الأمويين كما يؤخذ من شعره . أرى فى المسألة وجها آخر لا أجزم به ، ولكنى أرجحه . ذلك أن تقرأ (الثغور الآموية) . نسبة الى مدينة آمو أو أمويه وهى مدينة آمل الشط على نهر جيحون أو نسبة الى جيحون وهو يسمى آمودريا أى نهر آمو . ويقول ياقوت فى معجم البلدان . وهو يعد المدن التى سميت الاسكندرية : « ومنها الاسكندرية التى على شاطىء النهر الاعظم . » هذا الا أن يكون البديع نسب صاحبه الذى لا يستقر فى مكان نسبة لا يعرفها أحد .

وبعض المقامات لا يسمى فيها أبو الفتح ، وان عرف بصفاته كالأهوازية والبصرية ، وبعضها يخلو من أبى الفتح اسما وفعلا كالمقامة البغدادية والنهدية . وأحيانا يأتى ابو الفتح فى آخر المقامة بعد مضى معظم حوادثها كالمقامة الأسدية التى تصف لقاء عيسى بن هشام وأصحابه الأسد ، ثم قاطع طريق ، ثم لقاء ابى الفتح بعد ورودهم حمص .

اسلوب البديع فى نثره

البديع يلتزم السجع الا قليلا . وهو فى الرسائل اسجع منه فى المقامات ، وجمله قصيرة وسجعه متقارب . وذلك أحسبه نتاج الطبع الذكى الحساس ، الذى يود أن يسمع الانغام متتابعة رنانة . وذلك ما جعله يؤثر فى كثير من شعره الاوزان المجزوءة . وهو فى الرسائل يترك السجع أحيانا الى المزاوجة أو الارسال كقوله فى رسالته الى ابى الطيب عن الامير خلف بن احمد : « فلما ايفع وارتفع ، طالبته الهمة العلياء برفض الدنيا حتى يؤدى فرض الله فى الحج ، فقام عن سرير الملك ، الى سبيل النسك ، فحج البيت ، ودرس العلم حتى علم ناسخ الكتاب ومنسوخه ، ومباحه ومحظوره الخ » وكذلك فى المقامات يترك السجع أحيانا ولا سيما فى رواية عيسى بن هشام .

وقد يأتى بثلاث سجعات متواليات أو أربع ، بل يتابع فى الرسائل عشر سجعات أحيانا كقوله : « ونادمته والمنادمة رضاع ثان ، وطاعمته والمواكلة نسب دان ، سافرت معه والسفر والأخوة رضيعا لبان ، وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان ، وأثنيت عليه ، والثناء من الله تعالى بكل لسان ، واخلصت له والاخلاص محمود من كل إنسان . ثم أربع سجعات أخرى على هذا الروى (١)

وقد يجعل السجع مركبا على رويين فى أربع فواصل أو ست كقوله فى رسالة خلف بن أحمد : (وكأن هذا العالم قد أحسن عملا فجعل هذا الملك ثوابه . وكأن هذا الملك قد أساء مثلا ، فجعل هذا العالم عقابه

وقوله : فكان ما أضعناه ، كأنا زرعناه فأنبت سبع سنابل ، وكان ما فقدناه ، كأنا أقرضناه هذا الملك العادل

وقد يسجع فى أثناء الجلة قبل تمام المعنى كقوله «حقا أقول أن التمرة ، بالبصرة ، أقل خطرا من البدرة ، بهذه الحضرة ، وانى أيد الله القاضى على قرب العهد ، بالمهد ، قطعت عرض الأرض ، وعاشرت أجناس الناس ، (٢)

ومما يكثر فى نثر البديع تحليته بالشعر ، وقد قال الثعالبى فى ذلك : « ويوشح القصيدة الفريدة من قوله ، بالرسالة الشريفة من إنشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروى من النثر والنظم . وهو لا يكتفى

(١) الرسائل ص ١٣٠

(٢) « « ١٦٣ و ١٦٤

بتفصيل نثره بابيات من الشعر ، بل يصل النثر بالشعر حتى يتوقف معنى كل منهما على الثانى ، كرسالته الى الخوارزمى التى ذكرناها فيما تقدم ، وكقوله فى مدح ابى جعفر الميكالى :

ولو نظمت الثريا والشعرى بين قريضا
وكامل الارض ضربا وشعب رضوى عروضا
وصغت للدر ضربا أو للهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه سود النوائب بيضا
أو ادعيت الثريا لأخمصيه حضيضا
والبحر عبد لهاه عند العطاء مغيضا
لما كنت الا فى ذمة القصور ، وجانب التقصير . » (١)

ومن أحسن افتنانه فى ذلك المقامة الوعظية التى لاءم فيها بين المنثور والمنظوم أحسن ملاءمة .

ويجد قارىء الرسائل والمقامات قطعا من احداها فى الأخرى فقامة الوصية التى يوصى فيها تاجر ابنه معظمها فى احدى رسائله (٢) وبعض المقامة النيسابورية ومعظم العلمية ، فى رسالة الى أبى القاسم الكرجى التى وصف فيها بعض القضاه . وبعض المقامة الملوكية التى مدح بها خلف بن احمد فى رسالة يمدح فيها الملك نفسه .

وكذلك نجد فى الديوان والرسائل والمقامات وصف وقائع واحدة ، كلقاء الاسد فى الديوان والمقامة الاسدية ، وقطع الاعراب طريقه فى هذه المقامة والرسائل . وذلك يثبت أن المقامات تمثل كثيرا من حوادث زمانه .

نشأ البديع فى عصر بلغ فيه الأدب العربى أوجه ، وازدهر فيه الأدب الفارسى ، وقد عرفنا أنه ترجم كثيرا من الابيات الفارسية فى ديوانه . فهل ظهر أثر الفارسية فى معانيه وألفاظه ؟ أثر قليل .

فمن المعانى الشائعة فى الأدب الفارسى قوله « أو لم يكفنا الجرح حتى ذر عليه الملح ، وقوله « أنا العبد قرطك فى أذنه مطيعا وطوقك فى عنقه ، فهى عبارة فارسية شاعت حتى كنى عن العبودية بالحلقة فى الأذن . وقوله : « هيفاء لاتسع العيون جمالا ، فتسع هنا تشبه كنجد بالفارسية

ومن الالفاظ الفارسية أو العربية المستعملة على الاسلوب الفارسى قوله فى مدح السلطان محمود :

اذا ما ركب الفيل لحرب أو لميدان
رأت عيناك سلطانا على كاهل شيطان

(١) الرسائل ص ٤٣ (٢) الرسائل ص ١٧١

ففى هذا إشارة إلى قصة طهمورث والشيطان .

وقوله :

عندى فديتك جدى شبوبته بمضيره
فان أتيت فخير وان أبيت فخيره

فالخيرة فارسية معناها الحيرة أو اللغو . ولذلك قال الصديق الذى أرسل اليه هذان البيتان : لانبيع الخير بالخيرة وأجاب الدعوة . وقوله :

يابن النبى كفانى من الثناء وبسى

بسى بمعنى حسبى ، وهى كلمة بس المستعملة فى العامية المصرية .

وقوله فى الديوان :

فان مددت يدى يوما فلا رجعت حتى يعود على شسته النوق

والشست سية القوس ، والنوق تعريب نوك اى السهم .

وقوله . والدهر لونان فى تصرفه يضرب بالبيدق الغرازينا

وفى الرسائل الباغ بمعنى البستان ، وكتخداى الخلق ، وزرق بمعنى نفاق ، وقلب بمعنى زائف ، والسياسة فى معنى العقوبة ، وقوله « فان كان قد عرض فى البين عارض العين . » فاستعمال البين هذا هذا الاستعمال ترجمة كلمة « درميان » . وحصار بمعنى قلعة وغير ذلك .

هذا ما وسعه المقام فى الابانة عن سيرة الهمذانى وأدبه . ولا بد من ترتيب الرسائل ترتيبا تاريخيا لتفصيل سيرته ومعرفة تطور أسلوبه . وحسبنا الآن ماقدمنا عن هذا الأديب العظيم الذى اخترمته المنية فى سن الاربعين ، ولو عمر لكان عسى أن يكون له فى الأدب العربى آثار أبعد شأوا ، وأعظم خطرا وأسير ذكرا من آثاره التى أوحت الى معاصريه أن يلقبوه « بديع الزمان » ؟

عبد الوهاب عزام

هانيبال يرثى أخاه

للاستاذ فخرى ابو السعود

بينما كان هانيبال فى جنوب ايطاليا غازيا سار اليه أخوه بمدد فقابله الرومان فى الشمال فقتلوه ، وبعثوا برأسه الى أخيه

* * *

رويد الليالى قد خضدن قناتى
ويا طالما استعصت على الغمزات
سلام على عهد العظائم والعلا وتلك الفتوح الغر والغزوات
وأيام ألهو بالمدائن زاحفا وأهزأ بالأوعار والفلوات
ليهن بنى روما صعود نجومهم فنجمى هاو حالك الظلمات
أتانى منهم جحفل بعد جحفل فمزقتهم فى خالد الوقعات
وشردتهم عن معقل إثر معقل ورويت من قوادهم أسلاتى
وبات حماهم مستراد فوارسي ومعهد لذاتى ومرتبعاتى
فثلوا أكاليلى وحلوا عزائمى بمصرع ندب خائض الغمرات
طلوب عظيات زعيم كتائب ركوب مشقات قريع كماة
رضى السجايا ثابت الجأش باسل
كريم المحيا ناضر القسمات
فهل علموا لادر در أبيهم بأى صفات أوقعوا وسمات ؟
أذلوا أجل الهام غدر أو عفروا
بساقى تراب أشرف الجبهات
فأصبح من بعد الأمارة جسمه أنيس ذئاب أو سمير بزاة
وأدلوا بهذا الرأس فهو مخبرى
بتصويح مجدى وانطواء حياتى
أخى جنى ظلما عليك تجبري وغلواء أطماعى ولؤم عداتى
فداؤك أعضائى ، لقد كنت ساعدى
فبان ، فقلبي دائم الحسرات
وكنت أليفى مذ شبينا وصاحبي
وكنت خدين اللهو والصبوات
وكانت تهاب الأسد بأسك قانصا
وترمى مصيبا أبعد الفلوات (١)
وكنت مبائى إن ألمت ملمة
ومرجع أسرارى وكهف شكاتى
وكنت ظهيرى فى مغار وملحم
ويوم طراد هائج الهبوات (٢)
وكنت ملاذ الروح واللب والنهى
وكنت سراج الرأى فى الشبهات
أخى وهل مثل الأخوة نعمة ؟
وهل بعدها من لحمة وسداة ؟
فديتك منهوب التراب مثخنا بكف الاعادى دامى الطعنات
تنوشك منهم عصبة بعد عصبة خضيب العوالى ثائر الفتكات
سيبكى فؤادى يوم رزئك موجعا
وأسقى قديم العهد بالعبرات
مصابك أوهى مرتى وأغصنى وزهدنى فى العيش والمتعات
وأبدى لعينى آخر المجد والعلا فعفت طلاب المجد والعظمات
فلا طال عيش آض بعدك موحشا
كبيت خلاء مقفر العرصات
سوى ريثما أشفى من الروم غلتى
وأنهل من تلك الجموع ظباتى
ويبكى حسامى مصرع الفضل فيهم
ويأخذ من أبطالهم بترات

فخرى أبو السعود

---

(١) الفلوة : رمية السهم (٢) الهبوات بمعنى الغبار.

تذكار الشاعرة الكونتس دى نواى*

للاستاذ خليل هنداوى

— ٢ —

الحب والموت فى شعرها

لم تذهلها هذه الطبيعة التى فنيت فى حبها وجنحت اليها كل ميولها وأهوائها عن كل شىء ، كما كانت تقول « إن نظرات الغابات والغدران والحقول أشد تأثيرا فى نفسى من نظرات الانسان » ولكنها سرحت فى عوالم غير هذه العوالم : فى عالم الحب ، وعالم الموت والفناء .

يقول « جابر يول » (لم أجهل الا يوما واحدا ان هذه الهائمة بالازهار والاعشاب قد جحدت العالم كله لتقود نفسها الى حب شهوانى)

(ما ذا يهمنى اذا تلاشى اليوم عالم من الوجود ؟

(فالزمن يستطيع أن يلد - ما ظلت حيا - صيفا جديدا)

وهى فى هذه الخطرة غادة فاسقة متوهجة ، تتبع ملذاتها الفانية برغبة عارية ، وفى عينيها رواقان يظهران ويختفيان . يقولان « تعال ، تعال ، تعال ! » وهادنت الساعة التى كانت ترتقبها لتنعم فيها بالرجل الذى توهجت للقائه . وهذه هى نفس الروح الأولى بما يغشاها من ذهول ووثوب ، لا تهيم - فى هذه المرة - فى وجه الطبيعة ، ولكن فى وجه الانسان ، وعناق الانسان .

ولكن ما عسى يكون هذا الحب ؟ اذا كانت الشاعرة تتخيل أن الحب بعد أعوام طافحة بالخداع والافتتان والزهو يغدو الوسيلة الوحيدة لتوليد الجشع النفسى الباعث على امتلاك الوجود !

(إن الوجود الناقم الذى لا يأنس أبدا ....

أستميله إلى ، وأطوى نفسى فى حناياه ...

حين يلتف ذراعاى على جسد نقى لامع كالصيف)

وهل يكون هذا الجسد إلا جسد من تحنو عليه ويبهجها البلوغ اليه ؟

ألا أيها الوجود ! انما يدرك الناس باللذة الملتهبة نفسك التى لا نهاية لها .)

أحب منها هذا الارتباك بعد العناق ممثلا فى قولها :

(ان نفسى خارجة عنى . واللانهاية تملأ روحى روعة ، فهل أرانى متحدة معك . أم ممتزجة معها ؟

انى أحس قلبى ، فى جنح الليل الثائر ... مؤتلفا مع النجوم .)

وهذا الاعتراف من والهة تؤمن بأن (اللذة لا تكمل الرغبة) أو وهى مخدوعة بعمر السرور القصير ، تاوى الى جنات احلامها الزاهية وتقول

(هذه كلها ستبق عندما الحلم يمر ،

هذه التى سنقدم لها فى أعماق الليالى شفاهنا مغشاة بالظل ، ونفتح لها أذرعنا مغمورة بالحلم .)

الا تتجلى فى هذه المقاطيع ذات الروح التى تجلت فى مقطوعات الحدائق !

(عندما يطغى على الألم من وجهك الساطع

عندما لا يقدر قلبى المستبعد على مغادرتك

أحلم بأن ورائى — مغانى بعيدة وسفنا وموانىء ، ومدنا أنيسة مازالت تبهر لى

ورغبتى الضالة تؤمن بأنها لا تقدر أن تحيا بعيدة عن هذه الشواطىء

أنا فى غنى عن كل شىء حين أترنم بها)

وقد يتجهم فى وجهها كل وجوه الحب فتضمر الانتقام من الرجل ، أو تغنى عنه . وتهيم فى الحياة معتزلة بنفسها ،

(أنا أعلم أن الهواء جميل ، وأن هذا الفضاء هو الذى يسطع

وأن لمعات النهار لا تهب على منك

وأسمع كبريائى يقول لى

أيتها الغادة العزيزة ، أنا حماك الغيور الى الأبد)

ولننظر الى هذا الكائن المحبوب ! كيف أرضى نفسه وأحب نفسه ، وكيف طغى عليه القلق ؟

(أيها الكائن العزيز الذى بكيته ....

هل أستطيع أن أغفر لنفسى القاسية قعودها عنك هادئة يوم انتابك الألم)

يقول (جابريول) : وفى ديوان (دى نواى) شعر مجونى شهوانى لم تصنفه قبلها امرأة ، تبرز فيه الحواس متيقظة ، تتروح

* أنظر العدد ٤٣ من الرسالة

وتلبس وتتذوق ، شعر امرأة تتنشق اللذة وترشفها ، وتتروح الطيوب العابقة من بلاد المشرق .

(عبير المسك ، والارز والورد يضمحل مع الرياح
والحب يعيده وينشره بأنامله الالهية فى جوف اريكة ملتهبة)

شعر امرأة وصفت العناق بكلمات رقيقة ، لها وسوسة القبل وحلاوة العناق .

(وأنا لاازال أرتقبك لأتذوق هذا السكر الفاسق .

... ...

أحلم بنظرتك الطامحة حبا ، وبذراعيك العاريتين ، وبعطفك الجميل الذى يطير عذبا . . . .

* * *

ومن مقاطيعها الخالدة ما أوحاه اليها الموت ، والموت عندها هو البلد المجدب ، حيث لواء الحب فيه غير خفاق . وهذه الفكرة قد تختلجها كثـيرا وتحملها على استحضار الاسقام حين يغيض ماء الشباب ، كأنها وثنية يروعها القبر الذى يمثل لها ساحة العدم ، وطالما ذكرت الموت فثارت ، وهاج قلبها واحتد عقلها وأعلنت حواسها العصيان على (عالم النسيان)

(أيها الموت ! أيها السر الجديد ! أيها الدرس الذى لايتبدل .)

ولكن امرأة حية مثلها (ماخلقت لتموت) فكم مرة أعلنت بصفاء نفسها ـ فى اشعارها ـ انها لا تريد ان تموت . . . فهى طورا تجرب أن تستأنس بالعدم بواسطة الملاصقة .

(أيها الوجود الذى همت فيه كثيرا
سيأتى يوم تغتمض فيه عيناى . . .
فأحلم ، وأنا ملتهبة معتزلة . بآخر شىء على الارض تهافت عليه ناظرى عند الرحيل)

وتارة تعلل نفسها بامكان التقمص والاستحالة .

(أيها الوهم المشتت ! الا تسمع صوت الأرض التى تشق ؟) . مثلها كمثل الوثنيين الذين يكتبون ويعلمون (ألا شىء سيحيا بحرارة عروقه) . وراء ذلك كله تعتمد على خلودها الادبى الذى يقدر على استنقاذها من الردى .

(أكتب لليوم الذى أحول فيه رفاتا .

ليعرف الجيل القادم مبلغ ارتياحى للهواء والهناء . اكتب لأكون محبوبة بعد الموت .

اذا ماتلا أحد الفتيان ما كتبته ، يحس قلبه يخفق ، ويرتعش ويضطرب .

واذا به يحملنى فى صدره ، ويؤثرنى على غاداته . . .)
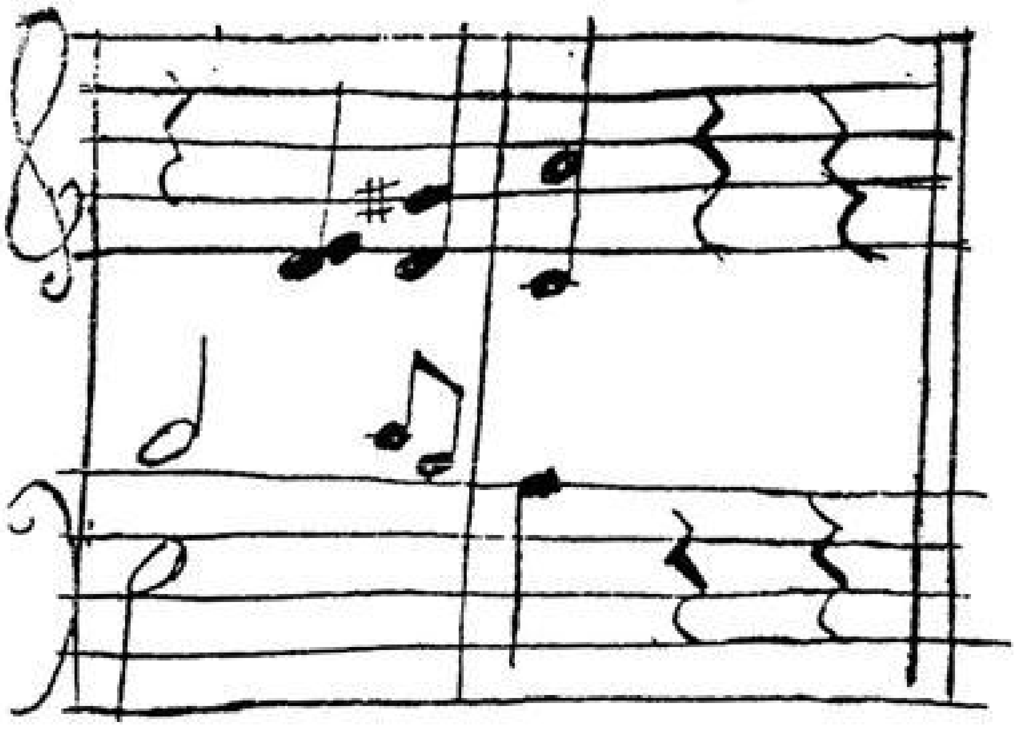
دير الزور : خليل هنداوى

حول السلم الموسيقى

طالعت فى مقال حضرة الاستاذ مدحت عاصم نشر بالعدد ٤٤ من مجلة الرسالة أن المسافة بين درجتين متتاليتين فى السلم الغربى المقرب (Equitempered) تساوى ١٥/١٦ . ولما كانت القيمة الحقيقية لهذه المسافة ليست ١٥/١٦ وانما هى $\sqrt[12]{\frac{1}{2}}$ أى الجذر الثانى عشر للنصف ويساوى ٩٤٣٨ و . (مقربا الى اربعة أرقام عشرية) على حين أن ١٥/١٦ تساوى ٩٣٧٥ و . ولما كانت فكرة الجذر الثانى عشر للنصف فكرة اساسية فى السلم المقرب الذى يشير اليه حضرته ، بل هى اساس التقريب فى بناء السلم بواسطتها أمكن توحيد المسافة بين الدرجات المتتالية وجعلها جميعا متساوية ، على حين أن النسبة ١٥/١٦ انما تنطبق على السلم الدياتونى (Diatonic) قبل تعديله الى السلم المقرب فى أواخر القرن الثامن عشر ، فلذا رأيت أن أكتب منبها على ذلك .

وقد أشار الاستاذ عاصم فى نفس المقال الى تسمية الدرجة السابعة فى السلم بالدرجة الحساسة (Note Sensible) قال « وان كنت لاأدرى مصدر هذه التسمية — وأحسب علماء النغم أنفسهم لايستطيعون لذلك تفسيراً دقيقا . »

والدرجة الحساسة التى يشير اليها حضرته وهى التى تعرف أيضا بالدرجة المؤدية أو الموصلة (Leading note) انما سميت بالحساسة أو الموصلة باعتبار الوظيفة التى تؤديها فى التأليف الموسيقى ، أو بعبارة أخرى مركزها النسبى فى السلم وعلاقتها بالدرجة الاساسية أو الـ (Tonic) ومن المعلوم فى التأليف الموسيقى أن الدرجة السابعة تجىء سابقة مباشرة ومؤدية أو موصلة الى الدرجة الأساسية كما يحدث عند نهاية كل قطعة موسيقية تقريبا ، فمثلا الفالس بريانت Valse Brillante لشوبان (نمرة ٢ من المؤلف نمرة ٣٤) ينتهى بالطريقة الآتية :



فاذا علم أن القطعة درجتها الاساسية هى الـ A أو الـ La فان الدرجة السابعة وهى G أو الصول الحادة كما يظهر بوضوح تؤدى أو توصل الى الدرجة الاساسية فى الختام أو الـ Cadence النهائية . اما فكرة الحساسية فناشئة عن اننا اذا وقعنا مجموعة النوتات أو الـ Chord المشتمل على الدرجة السابعة ، فاننا نشعر بحساسية خاصة للصوت الحادث أو شعور بتوقع حدوث صوت آخر هو الـ Chord النهائى المشتمل على الدرجة الأساسية .

هذا وقد لاحظت بعض ملاحظات اخرى فى المقالين السالفين لحضرته فى هذا الموضوع منها وصف حضرته فى المقال الثانى (المنشور فى ٢٩ يناير) لسلم فيثا غورس بأنه أقدم سلم عرف فى التاريخ ، مع أننا اذا ضربنا صفحا عن موسيقى الامم القديمة كالصين والهند ، فان اقدم سلم عند الاغريق هو السلم الدورى Doric ويليه فى القدم السلم الفيثاغورسى . ولعل منشأ الخطأ فى ذلك يرجع الى ماحدث فى القرون الوسطى من خطأ فى هذه الاسماء . يرجع الى امبروز اسقف ميلانو الذى صار بعد ذلك بابا لروما ، وسمى باسم جريجورى فانه أصدر امرا بتجديد السلالم الموسيقية ورد فيه خطأ وخلط كثير فى اسمائها .

محمد مصطفى شريف

٣ - الدوق دى لاروشفوكو

La Rochefoucauld

للدكتور حسن صادق

ورأى لاروشفوكو أن يرضى الدوقة فانضم الى اخيها ودارت رحى القتال . وفى ٧ ابريل عام ١٦٥٢ انتصر جيش الملك فى (بلنو) . وأثناء ذلك عاد مازاران الى فرنسا وبدأ يستخدم الحيلة والدهاء فى إخماد الثورة ، وعرف لاروشفوكو أن الدوقة أعرضت عن حبه وكلفت بالدوق دى نيمور فآلمه ذلك جد الألم . وقد ذكرت حفيدة الدوقة فى مذكراتها أن لاروشفوكو كان شديد الرغبة فى قطع هذه الصلة والخلاص من هذا القيد . واستدلت على صحة قولها بإحدى مواعظه : « لما نمل الحب ، نغتبط اذا خان الحبيب عهد وفائه ، لأنه بعمله هذا يحلنا من عهد وفائنا له » . ولكن الغيرة بقيت تحز قلبه زمنا طويلا لأنها كما قال فى موعظة أخرى : « تولد مع الحب ولا تموت فى كل حالة معه » .

نال اعراض الدوقة منالا كبيرا من كبريائه ، ولكنه استمر فى القتال يشد أزر اخيها . ثم حدثت موقعة حى سان انطوان ، وقتل فيها كثير من النبلاء ، وأصيب لاروشفوكو برصاصة فى وجهه كادت تقضى على بصره ، فنقل الى مستشفى لبانكور وكان هذا آخر عهده بالحرب الأهلية ، وجنبته هذه الاصابة عار الاشتراك مع كونديه فى قيادة جيش من الاسبان ضد بلاده

ونذكر بهذه المناسبة أن عهد الحرب الأهلية من أسوأ العهود التى مرت بها فرنسا ، فقد أظهر النبلاء أثناءه نزقا كثيرا ، ونبغوا فى فن الدسيسة ، وكشفوا عن الأثرة المتأصلة فى نفوسهم ، وجمعوا كل وطنيتهم فى مصالحهم الذاتية ، وتكالبوا على متع الحياة فى جشع وضيع ، وكاد بعضهم لبعض فى سبيل الالقاب والرتب ، وأسالوا الدماء ، وأسلموا البلاد للفوضى تفتك بها دون أن يروعهم وازع نفسانى . كان كونديه ولاروشفوكو ومن اليهما فى ذلك العهد قطاع طرق ورؤساء مناسر ، تنهب وتحرق وتهتك الأعراض فى مرح وحشى . واهتبل النبلاء فرصة الاضطراب فعاشوا فى البلاد ذئابا إقطاعيين ، وساءت حال الفلاح حتى عزت عليه اللقمة التى تحفظ ذماءه ، وامتلأت السجون بالبائسين الذين عجزوا عن دفع الضرائب الباهظة المفروضة عليهم ، ورأت باريس فى عام ١٦٥٢ مائة ألف جائع يهيمون فى طرقاتها ويستجدون أهلها وهم فى أسمال بالية . ولهذه الاسباب فرح الشعب لما استتب الأمر للملك ، ونظروا الى استبداده نظرهم الى نعمة هبطت عليهم من السماء

وأثر هذه الحرب الأهلية المادى ليس بأقل سوءا من أثرها المعنوى ، فقد دفعت الناس فى طريق النفاق والخيانة والأثرة الجامحة ، وكان من نتائجها أن يتهافت النبلاء المتكبرون على قدمى الوزير ما زاران يرجون ويستعطفون فى ذلة وخنوع

ولم تنتج هذه الحرب أثرا طيبا إلا فى الادب والفنون ، وتعتبر نهايتها فاتحة العهد الأدبى الحافل الكبير الذى صقلت فيه العبقرية الفرنسية ، وأصبح الاسلوب فيه عذبا نقيا ، والتعبير لاذعا دقيقا . وكثير من الذين حملوا السيف وخاضوا غمار هذه الحرب شادوا صروحا أدبية خالدة ، بعد أن لاحظوا أهواء الناس ورأوهم فى ثوبهم الحقيقى . ومن هؤلاء هذا الكاتب الذى نتحدث عنه

وفى ٢١ أكتوبر عام ١٦٥٢ أصدر الملك لويس الرابع عشر العفو عن لاروشفوكو ، وسمح له بالعودة الى باريس ، ولكنه لم يعد اليها الا بعد وقت طويل قضاه فى الريف هادئا يفكر فى آماله الضائعة ، وأحلامه المتداعية .

الشيخ الفيلسوف

لما فشلت ثورة الامراء واستتب الامر للملك لويس الرابع عشر ، عرف ضروب الاهواء التى تتلاعب بنفوسهم ، واستغلها استغلال رجل قدير ، وجاد على هؤلاء السادة العظماء بأنواع الاحسان الوفير حتى أحالهم الى ندماء متواضعين ، استكانت الاهواء الجامحة بعد انتصار الملكية ، فأخلد الناس إلى السكينة ، وعادت الحياة إلى مجراها النمطى ، وبدأت النساء ينشدن فى « الصالونات » أو بين جدران الاديرة ضروب الانفعال التى كن يجدنها فى نكبات الحرب الأهلية . ولم تعد تفكر الطبقة العالية الا فى قهر « الضجر » مرض الاغنياء الذين لا يعملون ، الذى

استحوذ عليها . يدلنا على ذلك قول مدام دى منتنون : (١) « إنى عاجزة عن أن أبين مبلغ الضجر الذى يعذب العظماء الاغنياء ، والمشقة التى يلاقونها فى قضاء يومهم »

وفى ذلك الوقت عاد بيت رامبوييه (٢) إلى فتح أبوابه ، ولكنه لم يلق الاقبال الذى اعتاده قبل الحرب الاهلية ، لأن ربة البيت المركيزة دى رامبوييه كانت فى الثانية والسبعين من عمرها ، واضمحلت قواها الذهنية ، وتفرق اثناء الاضطراب الذين كانوا يترددون عليه ، ثم ظهرت فى باريس « صالونات » أخرى أهمها صالون الآنسة دى مونبانسيه ، والآنسة دى سكودرى ، والكونتس دى لافاييت ، وصالون الدوق دى لاروشفوكو ، الذى بدأ بعد الشغب يبحث عن السعادة فى الادب والتفكير ، ثم صالون المركيزة دى سابليه .

وكان كل صالون يميل الى نوع خاص من الادب . فصالون الآنسة دى سكودرى يميل إلى وضع المعانى الغزلية الرائعة فى شعر قصير ، وصالون الآنسة دى مونبانسيه يحب الصور الشخصية ، وصالون المركيزة دى سابليه يتعشق عمل المواعظ ، أما بيت رامبوييه فكان مولعا بالادب وفروعه جميعها

وفى أحد الأيام ، وكان ذلك فى عام ١٦٥٨ ، طلبت الآنسة دى مونبانسيه من الحاضرين فى مجلسها أن يرسموا صورهم كتابة فى مقالات موجزة . ثم تناولت القلم ووصفت على القرطاس أجزاء وجهها ، ثم قوة ذهنها ، ثم أهواء نفسها وميولها وأخلاقها . وقلدها جميع الحاضرين ومن بينهم لاروشفوكو . ثم جمعت هذه الصور ونشرت فى عام ١٦٥٩ وكانت صورة لاروشفوكو المنهورة بالحروف الأولى من اسمه أول عهد الجمهور الفرنسى بكتابته . وسنذكر نبذا من هذه الصورة عند الكلام على أخلاقه وميوله

وكانت جماعة المركيزة دى سابليه يعالجون فى صالونها الموضوعات الجدية ، ويتحدثون عن ديكارت والمنطق والاهواء الانسانية ، وقبل أن يتفرقوا يحاول كل منهم أن يضع خلاصة المناقشة فى جمل قصيرة فصيحة ، أى يضعها فى حكم أو مواعظ . وانتشر هذا الميل إلى الحكم حتى بلغ الريف . وفى عام ١٦٦٠ كتب لاروشفوكو من (فرتى) إلى المركيزة يقول « هل لاحظت أن الميل إلى كتابة حكم ومواعظ يعدى كالزكام ؟ هنا فى الريف كثير من الناس انتقلت إليهم العدوى وشغفهم هذا الميل حبا » . وصالون هذه المركيزة هو الذى ملك على لاروشفوكو عقله ولبه ، واستأثر به دون الصالونات الأخرى

وفى عام ١٦٦١ أصيب بمرض النقرس ، فلازم بيته فى شارع السين بباريس ، وجعله « صالونا » يجتمع فيه عظماء الفرنسيين وأدباؤهم . وفى هذه السنة اعتزلت الدوقة دى لونجفيل الاجتماع واتجهت الى العبادة والتكفير عن سيئاتها ، بعد أن هجرها صاحبها الدوق دى نيمور ، ومات قتيلا فى مبارزة وقعت بينه وبين الدوق دى بوفور

وكان لاروشفوكو قد بدأ يكتب مذكراته بعد أن وضعت الحرب الأهلية أوزارها فى لهجة المؤرخ الرزينة ، ويذكر فيها الأسباب التى حملته على الاشتراك فى هذه الحرب ويردها كلها الى نكران الجميل الذى بدا له من الملكة آن دوتريش والدوقة دى شفرير والدوقة دى لونجفيل . وأطلع عليها أحد أصدقائه فى عام ١٦٦٢ فنصح له بعدم نشرها حتى لا يغضب الملك والاشخاص الذين ورد ذكرهم فيها ، فقبل نصحه ، ولكن صديقا آخر نقلها مشوهة دون أن يعلم المؤلف ونشرها فى هولانده فى عام ١٦٦٤ ، فأثارت لغطا كثيرا . ويقول الدوق سان سيمون (١) : « لما اطلع أبى على هذه المذكرات ملكته سورة الغضب ، وتوجه فى الحال إلى المكتبة التى تبيعها ، وكتب على كل عدد منها عنوة واقتدارا « كذب المؤلف » وكاد الملك يتدخل فى الامر ، ويسىء الى لاروشفوكو لولا حظوة ابنه البكر فرنسوا السابع لدى مولاه .

يتبع

حسن صادق

(١) ١٦٣٥ ـ ١٧١٩ سيدة فرنسية من علية القوم تزوج منها الشاعر المشهور سكارون (وكان شيخا) دميم الخلقة ، ولكنها أخلصت له حتى مات . ثم أحبها لويس الرابع عشر ، وسحره منها سمو الخلق ، ورجاحة الفكر ، وعذب الحديث ، وطهارة الذيل . ولما ماتت زوجه فى عام ١٦٨٣ تزوج من مدام دى منتنون سرا فى السنة التالية . وبعد موته لجأت الى أحد الادرة ، وظلت بين جدرانه حتى ماتت ودفنت فيه ولها رسائل قيمة مشهورة فى الادب الفرنسى

(٢) هذا البيت مشهور بصالونه الادبى . وكان يغشاه الكتاب والشعراء والعظماء الذين عرفوا بالخلق القويم والسيرة الحسنة . وكان له أثر كبير فى الأخلاق والأدب الفرنسى فى النصف الأول من القرن السابع عشر

(١) ١٦٧٥ — ١٧٥٥ عظيم من عظماء الفرنسيين فى عصره ذو دراية واسعة بفنون السياسة والحرب والمال . وكان دقيق الملاحظة رشيق الاسلوب فقضى فى كتابة مذكراته ستين عاما ، فجاءت تاريخا شائقا لعصره تصور للقارىء أبلغ تصوير ، وتملأ هذه المذكرات عشرين مجلدا

العلوم

العقل البشرى

للدكتور عبد الفتاح سلامه

العقل ثلاثة أقسام :

١ — العقل المميز Le conscient

٢ — العقل الواعى أو الشعورى أو العقل الظاهر Le subconscient

٣ — العقل غير الواعى أو اللاشعورى أو العقل الباطن ، L'inconscient والعقل غير الواعى يحتوى على قوى عقلية وأفكار مستترة ليست ظاهرة للجزء المجاور له المسمى بالعقل الظاهر . والفكرة المستترة فيه والتى تنضج بالنسبة اليه ، يرسلها إلى العقل الظاهر لتحويلها من مجرد فكرة إلى حركة أو عمل ، هذا إذا وافق عليها ذلك العقل الظاهر .

والعقل الظاهر هو ذلك الجزء من العقل الذى نعى به كل ماحولنا من ظروف وأحوال ، فيختار منها ماقد يبدو له مهما ويبت فيه إن أمكنه ، وهو يتلقى أفكار العقل الباطن لينفذها أو يناقشها ويبت فيها كذلك إن أمكنه ، وإلا فانه يعرض ما عسر عليه على العقل المميز .

وسواء أكان العقل الظاهر أو التميز هو الذى بت فى أمر ما فان ذلك يعتبر تجربة يصح القياس عليها ، فترسل هذه التجربة إلى العقل الباطن فتسجل وتبقى فيه إلى الوقت المناسب اذ يطلبها أحد العقلين فى أى ظرف يحتاج فيه اليها .

على أن تسجيل التجارب والأفكار ليس هو العمل الوحيد للعقل الباطن ، بل إن هناك عملا آخر يقوم به ، وهو إنه قد يكون له رأياً مستقلا من الأفكار المسجلة عنده ، أو قد يوازن بين هذه الافكار المسجلة ويستخلص منها رأيا يود إثباته أو تنفيذه فيعرضه على العقل الظاهر كما سبق أن بينا ذلك .

ولأجل أن يكون الفكر الذاتى ناضجاً تماما يجب ان يعرض على العقل الظاهر ثم على العقل المميز حتى تتم له صفة الصحة ، فيعتقد الانسان به تمام الاعتقاد ، وهذا هو الطريق الطبيعى للافكار الذاتية التى لا تسبب أى مشقة للانسان .

وهناك أفكار ذاتية أخرى لا يمكن بأى حال عرضها على الجهات الرئيسية من العقل فتبقى فى العقل الباطن ، ذلك لأن هناك ما يمنع ذلك العرض على العقل الظاهر ، وقد يكون هناك ايضا ما يمنع العرض على العقل المميز . واما المانع فى الحالتين فهو الضمير الذى يقوم بالمحافظة على تقاليد المجتمع وواجباته من جهة ، وبالمحافظة على الدين وتعاليمه من جهة أخرى

والفكرة الذاتية التى لم تتمكن من الوصول الى العقل الظاهر تبقى فى العقل الباطن كوحدة قائمة بذاتها . ذلك لأن الضمير طردها من الجهات الرئيسية من العقل ، فلا هى نفذت كما يريد العقل الباطن ولاهى نوقشت حتى يتضح له فسادها فيتركها ، وهذا هو السر فى تشبث العقل الباطن بالافكار التى لايوافق عليها الضمير الدينى او الاجتماعى او الاخلاقى وفى عمله على تنفيذها باى شكل كان ، ولما كان ذلك التنفيذ محالا بفعل الضمير فان العقل الباطن يتخيل تحقيق هذه الفكرة المحرمة عليه ، وهذا التخيل يسبب فى كثير من الاحوال حركات جسمانية أو الفاظا تنم عليه . والحركات والالفاظ ليست الا نتيجة تخيل تحقيق فكرة مكبوتة فى العقل الباطن ، وعلاقة هذه الحركات والالفاظ بالفكرة هى علاقة الصورة أو الخيال الذى يستمد وجوده من وجود جسم آخر قد لا يكون ظاهرا للعيان . وهكذا نرى أن الفكرة الذاتية نفسها وهى التى سببت الحركات والالفاظ لم تتمكن من الوصول الى الشعور أو التمييز ، أى إن الانسان لا يدرى عنها شيئا مطلقا

ولتسهيل فهم علاقة أقسام العقل الثلاثة بعضها نشبهها بثلاث غرف متصلة مع بعضها ببابين ، وامام كل باب حاجب يصرح أو لا يصرح بالدخول ، واذا عرفنا أن الحاجب قد يتجاوز مهمته بان يمنع من الدخول من يجب أن يدخل ، فاننا نجد أن الضمير قد يغالى فى منع مرور الافكار الذاتية من قسم عقلى الى القسم الأعلى المجاور له فتبقى الفكرة الذاتية كما قدمنا مصدراً لحركات والفاظ

وعواطف قد تأخذ صفة أعراض الأمراض العصبية ، على حين أنه لو سمح لها بالمرور لعرفها العقل الظاهر ولناقشها العقل المميز وبت فيها على أساس سليم فتصبح غير قادرة على ايجاد ما كانت تسببه

على أن هذه الحركات والألفاظ لا يمكن لها الحدوث الا فى غياب التميز ، لأن هذا الأخير كثيراً ما يترك القيادة الفعلية فى الانسان الى العقل الظاهر ، وهذا بدوره كثيرا ما يتأثر فى تصرفاته برغبات العقل الباطن وأفكاره ، ويكون العقل الباطن اذن هو القائد الأعلى فى غياب التميز أو فى حالة ضعفه لسبب ما ، ولما كانت الافكار الذاتية هى من عمل العقل الباطن ، ولما كان هذا الأخير محدود التميز فهو عرضة للخطأ فى تقديره لحقيقة الامور ، وينتج من ذلك أنه كثيراً ما تكون الافكار الذاتية مخطئة ، ولما كانت هذه الافكار هى التى تقود الانسان غالبا — فى غياب التميز — فانه من الجلى أن يكون الانسان العادى عرضة للخطأ فى كثير من تصرفاته ، وأن يكون الانسان العصبى عرضة لأن يسبب لنفسه ولمن حوله شتى المتاعب

واذا كان العقل الباطن محدود التميز لانه لا يأبه بالحقائق فانه غزير الخيال واسع الحيلة فى هذا الباب . وكل خيال عنده حقيقة وإن خالف الواقع ، وهذا ما حدا بفرويد أن يقول بان هناك حقيقتين : الحقيقة الواقعية والحقيقة النفسية ، واذا كان الانسان العادى يعيش فى الحقيقة الواقعية فان الانسان العصبى يعيش فى الحقيقة النفسية — أى فيما يصوره له الخيال ، وهناك أمر آخر يقوم به العقل الباطن ، وهو تسجيل الأفكار والتجارب والمعلومات على قواعد الاصطحاب والقرينة Association أى أن الاشياء المماثلة أو المخالفة لبعضها مسجلة مع بعضها أو بالقرب من بعضها

وتبدأ الافكار الذاتية والاصطحاب فى الظهور عند الانسان من يوم ولادته ، فالجوع يسبب الرغبة فى الا كل ، والوالدة تطعم طفلها ، وهكذا تنشأ فكرة عند الطفل بأنه فى حاجة الى شخص آخر يمده بما يشبع جوعه ، ويتعود الطفل سماع صوت معين ورؤية شخص معين يطعمه ويسهر عليه ويسبب له الشعور بالراحة والسرور والاكتفاء ، فيصحب ذلك الصوت المعين وهذا الشخص المعين بالسرور والاكتفاء ، وهكذا ينشأ الاصطحاب عند الطفل ، وهذا يفسر خوف الطفل وبكاءه عند شعوره بانفراده ، واطمئنانه وسروره عند رؤيته لوالدته أو عند سماعه صوتها

واذا عرفنا ان حواس الجسم خلقت لتحمى وجوده ، وعرفنا ان العقل هو القائد المدبر لهذه الحماية ، وانه من اجل ذلك يسجل عنده الحوادث الماضية كتجارب يستنير بها فى اى موقف من مواقفه ، وان هذه التجارب وان لم يذكرها الانسان مسجلة فى الجزء اللا شعورى من عقله ، مهما طال عليها القدم . اننا اذا عرفنا ذلك امكن لنا ان نفهم ما قد يبدو لنا غريبا ، فقد يسىء الينا فى طفولتنا بعض اشخاص ذوى خلقة معينة ، وقد ننسى هؤلاء الاشخاص بالذات ولكننا لا ننسى ان نقابل اى شخص يماثلهم فى الخلقة بالكراهية ، ذلك لاصطحاب الخوف والخطر لهذا الشكل المعين ، وهذا يفسر ايضا قول البعض انه يمقت فلانا من اول ما يراه ، ولكنه لا يعرف سبب ذلك

على ان هذه الفكرة الذاتية كثيرا ما تتعدى الحاضر الى المستقبل ، فقد تجلس فى المقهى على ان تغادره فى ساعة معينة فيشغلك الحديث مع جارك ، وتنسى كل شىء ، ولكنك لا تلبث ان تذكر ميعادك فى الوقت المناسب فتستأذن لتلبيته ، او قد تنام على ان تستيقظ فى ساعة معينة فيكون لك ما تريد . ذلك لانه فى اللاشعور قد تكونت عقيدة بانه من مصلحة الانسان او من مصلحة وجوده ان يذهب الى الميعاد فى ساعة معينة ، ولهذا ترى اللا شعور يذكر الشعور باستمرار بالموعد ، فهو بين آونة واخرى يقذف بفكرة الموعد امام الشعور ، وقد لا يأبه الشعور الى هذا التذكير ، لأن الوقت لا يزال مبكرا ، ولكن اللاشعور يستمر فى التذكير بين آونة وأخرى حتى يحل الموعد فيتذكره الانسان اذا كان متيقظا ، او ينتبه من نومه اذا كان نائما

وكما ان الافكار الذاتية قد تكون مخطئة فكذلك الاصطحاب قد لا يكون على اساس سليم . ومحاولة تصحيح خطأ الاصطحاب او توجيه اللا شعور الى الافكار والعقائد الصحيحة هو فى الواقع واجب على كل انسان يود ان يحيا حياة عقلية سليمة

واذا كنا قد أثبتنا أن العقل الباطن هو الذى يقوم بمهمة التخيل فان الجزء الشعورى من العقل هو الذى يقوم بتنفيذ كل ما يوحى به العقل الباطن فى غياب التميز ، لأنه يعتقد أن كل ما يوحى به العقل الباطن مهم لاستكمال النقص الموجود فى الجسم . وهو فى تنفيذه لرغبات العقل الباطن قادر كل القدرة على عمل ما قد يبدو مستحيلا لأول وهلة ، لأن الشعور لا يسيطر فقط على حركة الانسان الظاهرة ، بل يسيطر أيضا على كل الاعضاء الداخلية للجسم . فيكفى أن يتخيل العقل الباطن السفر لأجل أن ينفذ الشعور ذلك السفر . ويكفى أن يتخيل العقل الباطن الشفاء لأجل أن ينفذ الشعور الشفاء أيضا . وهذا هو الاساس فى الايحاء بانواعه

هذا الى أن الشعور تتمثل فيه غريزة التغذية ، وهى التى تهىء

للجسم أسباب المأكل والمشرب والدفء . . . الخ . وهكذا يتبين أنه اذا كانت كل الجهود التى ترمى الى اشباع الغريزة الجنسية ممثلة فى العقل الباطن ، فان كل الجهود التى ترمى الى حفظ النفس وجعل الجسم كاملا سليما ممثلة فى العقل الظاهر . ولما كان الانسان قليل الأطمئنان من ناحية المستقبل فانه لايقنع بما يكفيه حقيقة ويتعاون العقلان فى هذا السبيل فيكون الطمع والحسد والغيرة والمغالاة فى جمع المال . ولما كانت كل من هذه الجهود ترمى الى تفكك المجتمع وانحطاط الأخلاق فاننا نجد أن المجتمع قد حاربهما بشيئين :

أولا : من الطفولة الى اكمال الدراسة نجد أن الأب والمدرس والدين يتعاونون على كبح هذه الرغبات بما يوخونه من تعاليم ، ثم ينسى الانسان الأب والمدرس وتبقى التعاليم فى العقل بصفة ضمير أو وازع نفسانى يحض على الخير وترك الشر

ثانيا — إن مايلاحظه الانسان فى الحياة من احتقار الهيئة الاجتماعية لكل من يحاول اشباع رغبة محرمة يجعل الشعور ، وهو الذى يهمه حفظ الجسم وسلامته من الامتهان ، يقف فى وجه العقل الباطن أو يقلل من مغالاتها هى الاخرى فى تنفيذ رغباتها . وهى تقف هنا أيضا فى وجه العقل الباطن باسم الضمير الانسانى النبيل فى الظاهر . والواقع أن خوفها مما حدث لغيرها هو الذى يجعلها تقف هذا الموقف .

وهكذا يبدو أن الضمير مفيد للهيئة الاجتماعية ، وهذا هو الواقع ولكن الى درجة محدودة . لأن ذلك الضمير اذا كان قويا أكثر من اللازم فانه يمنع الرغبات من المثول امام التمييز أو الشعور فتبقى فى العقل الباطن دون أن تنفذ ، ولما يقتنع العقل الباطن بضرر تنفيذها بعد . وهنا كثيرا ماتنشأ الأمراض العصبية . والطريق الوحيد لاقناع ذلك العقل والتغلب عليه هو عرض رغباته على الشعور أو العقل المميز لمناقشتها والبت فيها

والعقل المميز هو القوة الاختيارية ، أى التى توازن بين كل شىء وتختار التصرف الذى يتراءى لها ، وهى موضع الذكاء فى الانسان

ويجب أن نذكر أن الضمير لا يمنع كل رغبات العقل الباطن من الوصول الى الشعور ثم الى التمييز ، بل بالعكس فانه يسمح للكثير منها بالوصول إلى التمييز نفسه ، ولكنه يقف أمام رغبات معينة فيمنعها من طريقها الى الشعور . وهذه الرغبات المعينة الممنوعة هى التى تسبب الامراض العصبية المسماة Maldies des trnsfert واما هذه الرغبات المعينة فاننا سنذكرها بشىء من الاسباب بعد أن نتكلم عن قصة أوديب الملك ، وعما يسميه فرويد Oedipe - Complexe

والعقل باقسامه الثلاثة ما هو إلا شىء معنوى أو بمعنى آخر هو وظيفة يقوم بها المخ الذى يتكون من جزأين ـ الأول وهو القشرة السنجابية الرمادية ، يتكون من مجموعة خلايا عصبية متصلة بعضها تمام الاتصال ، والثانى وهو الجزء الأبيض المكون من خيوط دقيقة تقوم بمهمة أسلاك التليفون ، وتوصل الخلايا مع بعضها كما توصل بين الخلايا وأجزاء الجسم المختلفة

والخلية العصبية هى وحدة المخ التى تساهم فى تكوين العقل بأقسامه الثلاثة ، ففى كل خلية جزء من المعلومات والاحساس والتمييز الخ . والعقل التام أو قيام المخ بوظيفته كما يجب لا يمكن أن يكون الا عن طريق الاتصال الكلى بين جميع الخلايا ، وبهذا يمكن تبادل المعلومات والاحساس والتمييز بين الخلايا فيؤدى المخ وظيفته على أحسن حال . وكلما كان هناك ما يمنع اتصال الخلايا كان هناك أيضا فكر غير ناضج ورأى غير معقول . وليست فائدة الاتصال بين الخلايا مقتصرة على تبادل المعلومات . إذ أن تسجيل التجارب والافكار يحدث بواسطة هذا الاتصال على قواعد الاصطحاب والقرينة Assaciation فالمعلومات المتشابهة أو المتضادة تسجل فى خلايا متجاورة أو متباعدة ، ولكنها متصلة ببعضها

ولما كان المخ البشرى من الوجهة التشريحية الميكروسكوبية متماثل من جميع الوجوه ـ سواء فى ذلك مخ الزنجى ومخ الرجل الابيض ، وسواء فى ذلك أذكى وأغبى رجل ـ فان اتصال الخلايا لا يتوقف على كثرة أو قلة الخيوط الدقيقة ، أو على مقدار تفرع هذه الخيوط كما يتوقف على العوامل النفسية والعقلية الأخرى

فالعوامل النفسية اذن هى التى تمنع الاتصال بين الخلايا . وأكثر هذه العوامل هو ما يكون بفعل المشادة بين اللاشعور والشعور ، او بمعنى ادق بين اللاشعور والضمير ـ أو بين ما يسميه فرويد Interet libido وهو يقصد بكلمة لبدو كل الجهود التى ترمى الى اشباع شهوة النفس وبكلمة Intéret كل الجهود التى ترمى الى حفظ النفس وجعلها ملائمة لمقتضيات الوسط الذى تعيش فيه

هذه المشادة بين اللاشعور والضمير هى التى خلقت العواطف فى الانسان وخلقت فيه التردد وعدم البت فى الأمور ، وهى التى كثيرا ما تحول دون تمام الاتصال بين الخلايا ، فيكون الفكر والرأى والتصرف غير ناضجة من الوجهة العقلية السليمة . وهى ايضا التى تمهد السبيل الى الأمراض العصبية المختلفة

وليس هذا الاتصال المباشر بالخيوط الدقيقة — هو الاتصال الوحيد بين الخلايا . فإن هناك اتصالا آخر غير مباشر وهو اتصال يمكن تشبيهه بالاتصال اللاسلكي بين المحطات المختلفة

هذا الاتصال الاثيرى قد يكون موجودا ، ولكنه نادر وقليل الحدوث بين خلايا المخ الواحد ، وهو مع ذلك شائع وكثير الحدوث بين الخلايا التى لا تنتمى الى مخ واحد . وهذا هو سبب ما نسميه توارد الخواطر وسبب الرؤيا الصادقة . ومن منا لا يذكر انه اراد مرة أن يقول كلمة فسبقه مخاطبه بقولها ؟ ومن منا لا يذكر انه كان يتكلم مع صديقه عن شخص ثالث ، فاذا بهذا الشخص الثالث يحضر على الأثر ؟ ومن منا لا يذكر انه رأى شيئا فى الرؤيا فاذا به يراه فى اليقظة فى اليوم التالى ؟

وهكذا نرى أنه قد يكون لكل رؤيا تفسيران — التفسير الأول وهو الثابت فى جميع الرؤى هو التفسير التحليلى الذى سبق أن تكلمنا عنه . وأما التفسير الثانى الذى يتعلق بحوادث اليوم الأول أو الأيام القليلة التى تلى ليلة الرؤيا فانه ، فضلا عن كونه قليل الأهمية فى الغالب لا يمكن معرفته قبل حدوثه بالفعل ، فهو نادر الحدوث ، أى أن الرؤيا التى لها تفسير من هذا القبيل قليلة ونادرة . فالتفسير التحليلى اذن هو الأهم وبواسطته يمكن معرفة رغبات الانسان الكامنة فيستدل على موطن المرض العصبى ويستأصل من جذوره

هذا وقد حاول الكثيرون التخلص من الافكار الذاتية المختلطة بطرق شتى

١ — الايحاء Suggestion

٢ — الايحاء الذاتى Autosuggestion

٣ — الجمع بين الطريقتين السابقتين وهى طريقة Emile Coué وهى التى يسميها La guerison par L'autosuggestion Consciente

٤ — التنويم المغناطيسى . وعيبه أنه يؤثر تأثير ايننا فى شخصية النائم . على أن هذه الطرق الأربعة مع امكان نجاحها فى الحالات البسيطة ، فهى كثيرا ما تفشل ، ذلك لأنها لا تؤثر إلا فى الحركات والالفاظ أو الاعراض العصبية الأخرى التى سببتها الافكار الذاتية الكامنة ، ولكنها لا تؤثر فى هذه الافكار نفسها . ولذا فان هذه الأعراض قد تختفى لتحل محلها اعراض أخرى أخف أو أشد منها على حسب الظروف . ولو تسنى معرفة هــذه الافكار أو الرغبات الكافية لعرضت على العقل المميز وبت فيها وخرجت اذن من العقل الباطن وأصبحت غير قادرة على ما كانت تسببه قبل ذلك

وفيما بعد سنتكلم عن الايحاء والتنويم والاتصال الاثيرى والتحليل النفسى مع شىء من الأسهاب . ولا بأس الآن بعد أن وصلنا الى هذا القدر من البحث من أن نشير الى الروح وماهى ، فقد تعرض لها الكثيرون فى العصور المختلفة . فمن قائل إنها فى الدم ، ومن قائل إنها فى القلب . وربما يظن الانسان أنه قد توصل الى معرفتها ، وأنها هى التى تتجلى فى الاتصال الاثيرى السالف الذكر ، والواقع أنها بعيدة عن متناول يده الضعيفة ، فهو لم يعرف بعد جميع أسرار المادة التى يراها حوله فى كل مكان . وأولى له أن يعرف هذه الاسرار قبل التطلع الى معرفة الروح . والروح من أمر الله .

عبد الفتاح سلامه .

القصص

مغامرات آخر بنى سراج
لشاتوبريان

Les Aventures des Dernier D'Abencerage
par Chateaubriand

تلخيص وتحليل ونقد

بقلم الآنسة سهير القلماوى
ليسانسيه فى الآداب

بنو سراج فى التاريخ

اذا كان تاريخ سقوط غرناطة يحفه الكثير من الغموض والكثير من النقص واللبس، فلا غرو اذا كان تاريخ بنى سراج كله غموض وابهام، وكله لبس ونقص. لانجد كتابا يذكر عن بنى سراج شيئا كافيا، ولانجد كاتبا ينتهى فى أمرهم الى ماينتهى اليه غيره، هذا اذا ذكروهم وما أقل ما ذكروا.

فاذا بدأت بقولهم إن بنى سراج اسرة، تجد خلافا فى هل عرفوا فى التاريخ كاسرة حقا، أو أن التاريخ لم يعرف منهم الا فرداً واحداً؟ وهم بعد يختلفون فى حقيقة اسمه. واذا ثنيت بقولهم نشأوا فى غرناطة وجدت من يقول إنهم نشأوا فى قرطبة، ثم رحلوا عنها الى غرناطة. وهكذا يستمر الخلاف فى كل خطوة من خطى الكلام على بنى سراج

ولكن برغم هذا كله يمكن ان نستخلص من كلام المؤرخين فى شأنهم مايلى: إنهم اسرة عرفت فى غرناطة فى أواخر ايام بنى الاحمر وكان هلاكها على يد أحدهم: اما ابو الحسن على، واما ابو عبد الله. وكان لهم يد فى الخلافات الاخيرة التى وقعت بين افراد الاسرة الحاكمة. وهم مشهورون بعد بخلافاتهم مع بنى الزغرى او الزغى، ونجد تأييدا لذلك كتابا اسبانيا الف حوالى سنة ١٥٩٥ عنوانه «تاريخ عصابات الزغرى وبنى سراج والحروب الأهلية فى غرناطة»

كذلك شهر بنو سراج بقصد الفتك بهم؛ فقيل ان بنى الزغرى كادوا لهم عند ابى عبد الله ففتك بهم. اما المكيدة نفسها فبعضهم يكتفى بالاشارة اليها، والبعض الآخر يتخذ الاسطورة المشهورة فى الفتك بهم كحقيقة تاريخية فيرويها. وفيما بعد تفصيل لتلك الاسطورة

اما شاتوبريان مؤلف القصة المشهورة باسمهم، فالظاهر انه كان يرى فيهم اسرة من اشراف غرناطة حاربهم الاسبان فقتلوهم وشردوهم، والدليل على قولى هذا ان بطل القصة آخر سلالة بنى سراج جاء اسبانيا للانتقام من سلالة السيد الاسبان لانهم شردوا اجداده وقتلوهم: ولو صحت لديه الاسطورة المشهورة لجاء ابن حامد منتقما من سلالة بنى الاحمر لا من سلالة الاسبان.

ننتهى من كل هذا الى ان بنى سراج اسم يذكر مقرونا بذكر سقوط غرناطة وبنى الاحمر. اما مآلهم واما حقيقتهم فشىء يحفه الكثير من الغموض ويحيط به سياج من الاساطير يخفى الكثير من الحقيقة.

بنو سراج فى الاساطير

اذا كان التاريخ لم ينصف بنى سراج فان الاساطير أنصفتهم كما أنصفهم الفن فى الادب والغناء.

تتعلق ببنى سراج اسطورتان مهمتان، وكلتا الاسطورتين كانتا منبعاً للادب او للقصص بنوع خاص.

اما الاولى فهى الاسطورة التى تروى فى سبب الفتك ببنى سراج وهى أن ابا عبد الله بلغه حب احد بنى سراج لاخته زريده، فثار ثائره، وجمع الاسرة كلها فى مكان من الحمراء وأحرقهم أو قطع رؤوسهم جميعاً، ومازال صدى اصواتهم يرن فى جنبات الحمراء شاكيا من ظلم مالا قوه. ويلمح كاتب مقال بنى سراج فى دائرة المعارف الايطالية شبها عظيما بين هذه القصة والقصة التى تروى فى الشرق عن سبب الفتك بالبرامكة، مما يجعله يرجح ان قصة بنى سراج هذه ما هى الا أسطورة غربية صيغت على نسق الاسطورة الشرقية، فبنو سراج وزراء بنى الاحمر، والبرامكة وزراء بنى العباس، وفتك بالبرامكة

الرشيد ، لان جعفرا البرمكى أحب اخته العباسة ، وكذلك فتك أبو عبد الله بالسراجيين لأن احدهم احب اخته زريدة . ثم يقول كاتب المقال ، واسم زريدة وهو اسم غريب فى الاسماء العربية ما هو الا تحريف تحكى لاسم زبيدة زوج الرشيد .

ومما يبعد هذه الاسطورة عن التاريخ أن مؤرخا عربيا واحدا لم يذكرها وان كان الاسبان اكثروا من ذكرها فى مؤلفاتهم .

واما الاسطورة الثانية التى تتعلق ببنى سراج فهى الاسطورة المذكورة فى كتاب لانطيونو فالجانس اسمه تاريخ بنى سراج وظريفة ، الفه سنة ١٥٥٩ وقد استقاه من كتاب لا يعرف مؤلفه اسمه Chronica d'Infanto dou Ferdinanto . ويروى فيه قصة ابن دريز الرامى الذى تزوج سرا من ظريفة ابنة قائد قرطبة والذى اسره قائد الانتقيرة . ولما صاحبته زوجه عن طيبة خاطر الى السجن اخذت القائد شفقة على حالها الحزنة ، وعلى حبهما واخلاصهما ، وطلب الى ابيه ان يعفو عنهما ، وحصل منه على امر باطلاق سراحهما . وقد رويت هذه القصة برقة زائدة حتى ان Gallards يقول ، يظهر انها كتبت بريشة من جناح احد الملائكة واشتهرت هذه القصة شهرة عظيمة واعجب بها Cervantes وذكرها فى دون كيشوت . وكررها Monto Mayer فى كتابه ديانا . واستخلص من موضوعها Lope de Viga روايته ..... Il Remedis . وكانت القصة باختصار موضوعا لعدة قصص من اشهرها واجملها ما رواه Augustions D'osar فى روايته Romencers

هاتان هما الاسطورتان ، وما تفرع عنهما ، ولكن موضوع بنى سراج انفسهم غير متأثر باسطورة معينة من الاسطورتين كان وحيا للموسيقى المشهور شروبينى Cherubiny فقد وضع فيهم اوبرا مثلت فى باريس سنة ١٣٨١ ووضع كلامها Gony ولا تزال بعض الحانها مشهورة الى اليوم

كذلك نجد ذكرهم عند شعراء العرب ، فهم يذكرون كثيرا مثلا فيما الف حول سقوط قلعة الحامة من شعر وغناء .

كذلك أنصفت الاساطير بنى سراج كما أنصفهم الادب والغناء .

قصة شاتو بريان

هؤلاء هم بنو سراج كما يعرفهم التاريخ وكما تعرفهم الاساطير ولكن الذى رفع ذكرهم ليس التاريخ أو الاساطير ، وانما هى قصة الفها الكاتب الفرنسى المشهور شاتوبريان ، وهى قصة مغامرات آخر بنى سراج . وليست القصة عن بنى سراج انفسهم كما يدل عنوانها ، ولكن المؤلف اتخذ لقصته بطلا ادعى انه آخر سلالة هذه الاسرة ، ولا يغير من القصة شيئا لو كان هذا البطل آخر سلالة اى اسرة عربية اخرى شهدت سقوط غرناطة واصابها ما اصاب العرب جميعا اذ ذاك .

كيف استقى المؤلف قصته

عاش شاتوبريان فى شمال فرنسا ، ولكنه عرف بكثرة الرحلات واتساع نطاقها ، كما عرفت اسرته كلها بولعها بالرحلات والمغامرات ، وقام شاتوبريان نفسه بعدة رحلات ، فقد سافر الى امريكا ، وكانت تلك الرحلة من أهم ما انتفع به فى كتابه الذى رفع ذكره وهو Atala أتالا . كذلك عاش زمنا فى لندره ، حيث كتب الكثير من مؤلفاته ، ورحلاته هذه لم تمل عليه ادبا فحسب ، وإنما وصفها فى كتب عدة غير مشهورة .

ولكن هناك رحلة خاصة هى التى أوحت اليه بتلك القصة التى نحن بصدد الكلام عنها ، فقد تواعد واحدى صديقاته على زيارة الحمراء وما حولها فى غرناطة . وفعلا تقابلا هناك وزارا معا الحمراء وما جاورها . وكان من أثر هذه الزيارة ان كتب القصة فى نفس تلك الامكنة التى يصفها . فى الحمراء وما جاورها .

هذا ما أوحى اليه بالقصة . واما مادة القصة فقد استقاها من كتاب اشرنا اليه آنفا وهو كتاب Ginés Perey de Hita فى « تاريخ عصابات الزغرى وبنى سراج والحروب الاهلية لغرناطة » الف هذا الكتاب حوالى سنة ١٥٩٥ ولكنه ترجم الى الفرنسية وطبع فى باريس ثلاث طبعات ، الاولى سنة ١٦٠٦ ، والثانية سنة ١٦٩٨ ، والثالثة سنة ١٨٠٩ ، واذا عرفنا ان شاتوبريان مات سنة ١٨٤٨ عرفنا انه كان يمكنه الاطلاع على كل هذه الطبعات الثلاث للترجمة الفرنسية فوق ان احداها طبعت فى شبابه ، فلا غرو أن أن لفتت نظره . وهذا الكتاب الذى ألفه De Hita مستقى من Pulgars Chrouiéles ومن قصص العامة مسيحية واسلامية حتى أن بعضها منقول نقلا . أضف الى كل هذا أن اوبرا Cheruoiny فى بنى سراج مثلت سنة ١٨١٣ فكانت حافزا للمؤلف ولا شك على تأليف قصته .

ملخص القصة

اما القصة نفسها فتتلخص فى ان ابن حامد هاجر من قرطاجنة الى غرناطة شوقا الى رؤية آثار اجداده وأخذا للثأر ممن فتكوا بهم . واثناء

زيارته لتلك الآثار التي كانت تثير اشجانه ، لمح أسبانية فتعرفها ثم احبها واحبته . وزارا معا قصر الحمراء ، ولكن كل واحد منهما اصر على دينه ، وأصر على الا يتزوج صاحبه الا اذا بقي على دينه . وكان ابن حامد يعرف أن صاحبته من أسرة اسبانية عريقة ، ولكن لا يعرف عن هذه الاسرة شيئا ، وكانت أدماء Blanca تعرف أن صاحبها من أشراف العرب الذين هاجروا الى المغرب ، ولكنها لم تعرف لاسرته اسما .

ويضطر ابن حامد الى ترك غرناطة ليودع والدته قبل فراقها الحياة ، فيودع أدماء ويقسمان على الاخلاص والوفاء . ثم يعود اليها بعد أن فارقت أمه الحياة فيجدها كما أمل : وفية مخلصة ثابتة على دينها

ولكن يظهر لابن حامد منافس في حب أدماء هو صديق أخيها الفارس الفرنسي لوترك Lautrec ويعرض عليها أخوها الزواج من لوترك فترفض وتعترف له بحبها لابن حامد ، فيثور أخوها ويطلب ابن حامد للمبارزة فيتبارزان ويجرح ابن حامد . وتأتي أدماء الى ميدان المبارزة في صحبة لوترك ، وتحاول اصلاح الحال بين أخيها ولوترك من جهة ، وبين ابن حامد من جهة أخرى ، ولكنها لا تفلح ، ويصر ابن حامد على أن يحترم دون كارلوس أخاها ويحتقر لوترك حبيبها ويكرههما الاثنين .

وعند الغروب بينما كان ابن حامد سائراً سابحاً في أفكاره ، اذ تنبه على صوت الناقوس يدعو النصارى الى صلاتهم ، فيدخل الكنيسة عل إله النصارى وهو إلهه أيضا أن يحل ما تعقد في رأسه من أفكار . فيرى في الكنيسة (لوترك) راكعاً يصلي ، فيهم بالخروج واذا به يفاجيء ادماء داخلة تصلي أيضا ، فيظن هو انها آتية للقاء لوترك ، ولكنها تنفي عنه الظنة قائلة « انا اعلى من أن أغشك » ثم تشتكي له ما تلاقيه وتفهمه أنه بتنصره يبرئها من سقامها وآلامها ، فيخرج ابن حامد من الكنيسة وهو مصمم على أن يتنصر في الصباح .

وفي المساء سار الى دون كارلوس فوجده قد سبقه الى بيت لوترك ، فسار اليه هناك فوجد أن لوترك يقيم حفلا في هذا المساء ، وبدأ القوم يغنون بمفاخر قومهم كعادتهم في حفلاتهم ، وغنى دون كارلوس فعرف ابن حامد من غنائه أنه أحد سلالة السيد الاسباني الذي جاء ينتقم من سلالته لاجداده بني سراج . وهنا كشف ابن حامد لهم عن حقيقته ، فخيره دون كارلوس بين المبارزة وبين التنصر والتزوج بادماء . وكان الخيار عليه صعبا ، فحكم ادماء ، فكان حكمها أن « عد الى صحرائك »

ظلت أدماء بلا زواج طول حياتها تندب السراجي ، وضم السراجي قبر لازال معروفا الى الآن في المغرب بقبر آخر بني سراج

هذه خلاصة القصة ونلاحظ عليها ما يلي .

١ - إن القصة كلها لا أصل لها في التاريخ . ويقول صاحب مقال بني سراج في دائرة المعارف الايطالية أن ليس لها من الحقيقة سوى الاسم : بني سراج .

٢ - إن الفكرة الدينية كانت عنصرا هاما في الموضوع ، وهي دائما عنصر هام في روايات شاتو بريان حتى قصته التي رفعته الى أوج الشهرة وهي Atala مبنية على الفكرة الدينية .

٣ - تعد القصة من مؤلفات شاتو بريان الثانوية ، قلما يقرؤها الا من كان معنيا بشؤون الشرق والشرقيين . ولكنها برغم هذا من القصص التي تترك في نفس القارىء أثرا بينا ، لا من حوادثها فقط ولا من شهامة ابطالها فحسب ، ولكن من هذا كله ومن الوصف الدقيق الذي تمتاز به .

٤ - أبطال القصة مرتفعون بشهامتهم وشرفهم ارتفاعا لا يقربهم الى نفس القارىء ، ومما ساعد على بعدهم عن قلب القارىء قلة التحليل النفساني الذي يصل بالقارىء الى معرفة هؤلاء الابطال معرفة تقربهم منه ، وهو وان كان قد عمد اليه في بعض الاحيان الا انه لم يوفق فيه . فشخصية ابن حامد وهي أهم شخصية في القصة لا تجد لها تحليلا كافيا ولا تتبينها الا اذا أسبغت عليها الكثير من خيالك الخاص .

٥ - والحادثات التي تجري في القصة متكلفة بشكل غريب ، وكان أبطالها كلهم ينشئون رسائل أو ينمقون مقالات ، وكان لكل هذا اثره البين في الباس هذه الشخصيات لباسا غامضا لا يتنوع بتنوع الاشخاص .

٦ - كان المؤلف في قصته وصافا اكثر منه مؤلفا قصصيا ، والظاهر ان موضوع القصة وأشخاصها لم يهم المؤلف قدر ما اهمه وصف الحمراء وما جاورها .

الترجمة لشكيب ارسلان

ترجم القصة الفرنسية الكاتب المعروف شكيب ارسلان ، ولكن الترجمة حرفية ، وقد اخلت حرفيتها بكثير من معانيها ، وجعلت لها صبغة غريبة لغرابة تراكيبها وتعابيرها . ولو عمدت الى نقل المواضع التي افسدتها الترجمة الحرفية لاكثرت وامللت

الكتب

ديوان الأعشاب

لمحمود ابو الوفا

حديث عن الشعر وعن الديوان

للاستاذ مصطفى صادق الرافعى

فى احدى زياراتى للأستاذ مصطفى صادق الرافعى رأيت على مكتبه « ديوان الاعشاب » الذى أخرجه الشاعر المعروف الاستاذ محمود أبو الوفا ، فا كبرت أن أجد هـذا الديوان حيث وجدته ، ولـكن الاستاذ أثنى عليه وعلى صاحبه ، ثم قال : هلم نقرؤه معا ، وبعد أن استوفيناه ، نقلت عنه هذا الحديث للرسالة الغراء ، قال :

« أبو الوفا شاعر ملء نفسه ، مافى ذلك شك . مذهبه الجمال فى المعنى ، يبدعه كأنما يزهر به ، والجمال فى الصورة يخرجها من بيانه ، كما تخرج الغصون والأوراق من شجرتها . وله طبع وفيه رقة ، وهو يجرى من البيان على عرق ، وسليقته تجعله ألزم لعمود الشعر وأقرب الى حقيقته ، حتى إنه ليعد أحد الذين يعتصم الشعر العربى بهم ، وهم قليل فى زمننا ، فان الشعر منحدر فى هـذا العصر الى العامية فى نسقه ومعانيه ، كما انحدر التمثيل ، وكما انحدرت أساليب الكتابة فى بعض الصحف والمجلات .

وللعامية وجوه كثيرة تتقلب فيها الحياة ، ومرجعها الى روح الاباحة الذى فشا بيننا ، ونشأ عليه النشء فى هذه المدنية التى تعمل فى الشرق غير عملها فى الغرب ، فهى هناك رخص وعزائم ، وهى هنا تسمح وترخص ، فى ظل ضعيف من العزيمة . واهمال البلاغة العربية الجميلة كما هى فى قوانينها ، ليس الا مظهراً لتلك الروح تقابله المظاهر الأخرى ، من اهمال الخلق ، وسقوط الفضيلة ، وتخنث الرجولة ، وزيغ الانوثة ، وفساد العقيدة ، واضطراب السياسة ، الى ما يجرى هـذا المجرى مما هو فى بلاغة الحياة المبينة كالمرذول والمطرح والسفساف فى بلاغة الكلام الفصيح . كل ذلك فى مواضعه تحلل من القيود واباحة وتسمح وترخص ، وكل ذلك عامية بعضها من بعض ، وكل ذلك لحن فى البلاغة والخلق والفضيلة والرجولة والانوثة والعقيدة والسياسة .

والشعر اليوم أكثره (شعر النشر) فى الجرائد ، على طبيعة الجرائد لا على طبيعة الشعر . وهذه اباحة صحافية غمرت الصحف ، وأخضعت أذواق كتابها القوانين التجارة ، فانهم لينشرون بعض القصائد ، كما تنشر (الاعلانات) لا يكون الحكم فى هذه ولا هذه لبيان أو تمييز أو منفعة ، بل على قدر الثمن أو مافيه معنى الثمن !

ومن مادية هذا العصر وطغيان العامية عليه ، اننا نرى فى صدر بعض الجرائد أحيانا شعرا لا يكون فى صناعة الشعر ولا فى طبقات النظم أضعف ولا أبرد منه ، ولا أدل على فساد الذوق الشعرى ، ولـكنه على ذلك الأصل الذى أومأنا اليه يعد كلاما صالحا للنشر ، وان لم يكن صالحا للشعر .

وهكذا أصبحت العامية فى تمكنها تجعل من الغفلة حذقا تجاريا ، ومن السقوط علوا فلسفيا ، ومن الركاكة بلاغة صحفية ، ومتى تغير معنى الحذق ، وداخلته الاباحة ، ووقع فيه التأويل ،

وقد خلى المترجم ترجمته بابيات شعر كثيرة مقتبسة غير التى اضطر الى نظمها ترجمة للاصل الفرنسى الشعرى ، وكانت هذه الابيات المقتبسة مما ساعد كثيرا على عدم الانسجام فى القصة ، فهى وان كانت فى نفس المعنى المساقة فيه ، إلا ان بعدها عن روح القصة وجوها جعلها كالانغام الناشزة فى الموسيقى .

واخيرا لم يكن للمترجم فضل فى تلك الترجمة الا نقل صورة مهما تكن حالها لقصة يجب ان يطلع عليها كل قارىء لتاريخ الاندلس ، واما فضله حقا فهو فى الذيل الذى أتبعه قصته وهو ما لا نتعرض له .

سهير القلماوي

وأحيط بالتمويه والشبه ـ فالريبة حينئذ أخت الثقة ، والعجز باب من الاستطاعة ، والضعف معنى من التمكين ، وكل مالا يقوم فيه عذر صحيح ، كان هو بطبيعة التلفيق عذر نفسه .

وأكثر ما تنشره الصحف من الشعر هو في رأيي صناعة احتطاب من الكلام ... وقد بطل التعب ، إلا تعب التفتيش والحمل ، فلم تعد هناك صناعة نفسية في وشي الكلام ، ولا طبع موسيقي في نظم اللغة ، ولا طريقة فكرية في سبك المعاني ؛ وبهذه العامية الثقيلة أخذ الشعر يزول عن نهجه ، ويضل عن سبيله ، ووقع فيه التوعر السهل ... والاستكراه المحبوب ... وصرنا إلى ضرب حديث من الوحشية . هو الطرف المقابل للشعر الوحشي في أيام الجاهلية . فما دام الكلام غريبا ، والنظم قلقا ، والمأتى بعيدا ، والمعنى مستهلكا ، والنسج لا يستوى ، والطريقة لا تتشابه ـ فذلك كله مسخ وتشويه في الجملة ، وإن اختلفت الاسباب في التفصيل . وإذا كان المسخ جاهليا بالغريب من الالفاظ ، والنافر من اللغات ، والوحشي من المعاني ، وكان عصريا بالركيك من الالفاظ ، والنازل من التعبير ، والهجين من الاساليب ، والسخيف من المعاني ؛ ثم بالسقط والخلط والاضطراب والتعقيد ، فهل بعض ذلك إلا من بعضه ؟ وهل هو في الشعر الجميل إلا كسلخ الانسان الذي مسخه الله فسلخه من معان كان بها إنسانا ، ليضعه في معان يصير بها قردا أو خنزيرا ليس عليه إلا ظاهر الشبه ، وليس معه إلا بقية الاصل ؟

فالقردية الشعرية ، والخنزيرية الشعرية ، متحققتان في كثير من الشعر الذي ينشر بيننا ، ولكن أصحاب هذا الشعر لا يرونهما إلا كمالا في تطور الفن والعلم والفلسفة . وأنت متى ذهبت تحتج لزيغ الشعر من قبل الفلسفة ، وتدفع عن ضعفه بحجة العلم ، وتعتل لتصحيح فساده بالفن ـ فذلك عينه هو دليلنا نحن على أن هـــذا الشعر قردي خنزيري ، لم يستو في تركيبه ، ولم يأت على طبعه ، ولم يخرج في صورته ؛ وما يكون الدليل على الشعر من رأى ناظمه وافتتانه به ودفاعه عنه ، ولكن من احساس قارئه واهتزازه له وتأثره به .

***

والشاعر أبو الوفا جيد الطريقة ، حسن السبك ، يقول على فكر وقريحة ، ويرجع الى طبع وسليقة ، ولكن نفسه قلقة في موضعه الشعري من الحياة ؛ وفي رأيي أن الشاعر لايتم بأدبه ومواهبه حتى يكون تمامه بموضع نفسه الشعري الذي تضعه الحياة فيه . والكلام يطول في صفة هذا الموضع ، ولكنه في الجملة كنبت الزهرة لاتزكو زكاءها ، ولا تبلغ مبلغها الا في المكان الذي يصل عناصرها بعناصر الحياة وافية تامة ، فلا يقطعها عن شيء ولا يرد شيئا عنها ؛ اذ هي بمعاني تركيبها وتهيئتها إنما تتم بموضعها ذاك لتهيئته وتركيبه . فان كانت الزهرة على ما وصفنا ، وإلا فما بد من مرض اللون ، وهرم العطر ، وهزال النضرة ، وسقم الجمال .

ولولا أن الحكمة وفت الاستاذ ابا الوفا قسطه من الألم ، ووهبته نفسا متألمة حصرتها في اسباب ألمها حصرا لا مفرَّ منه — لفقدت زهرته عنصر تلوينها ، ولخرج شعره نظما حائلا مضطربا منقطع الاسباب من الوحي ؛ غير أن جهة الألم فيه هي جهة السماء اليه ؛ ولو هو تكافأت جهاته المعنوية الأخرى ، وأعطيت كل جهة حقها ، وتخلصت مما يلابسها — لارتفع من مرتبة الألم الى مرتبة الشعور بالغامض والمبهم ، ولكان عقلا من العقول الكبيرة المولدة التي يحيافيها كل شيء حياة شعرية ذات حس .

ولكن مادامت الحياة قد وزنت له بمقدار ، وطففت مع ذلك وبخست ، فقد كان يحسن به أن يقصر شعره على أبواب الزفرة والدمعة واللهفة ، لا يعدوها ، ولا يزاول من المعاني الأخرى ماضعفت أداته معه أن تتصرف ، أو انقطعت وسيلته اليه أن تبلغ . ويظهر لي أن أبا الوفا يحذو على حذو اسماعيل باشا صبرى ، وهو شبيه به في أنه لم تفتح له على الكون الا نافذة واحدة ؛ غير أن صبرى أقبل على نافذته ونظر ماوسعه النظر ، اما ابو الوفا فيحاول أن ينقب في الحائط ليجعلهما نافذتين ....

اما انه ليس من الشعر أن تنزل الحيرة الفلسفية عن منزلتها بين اليقين والعقل ، أو المشهود والمحجب ، أو الواقع والسبب ، أو الرسم والمعنى — فتنقلب حيرة معاشية تسم الاشكال والمعاني بسمتها المادية الترابية ، وتقع في الشعر فتقحم بين شعر القلب العاشق ، وشعر الفكر المتأمل — شعر المعدة الجائعة ، وتضع بين أشواق الكون شوقها هي الى الطعام والثياب والمال ....

على أنه كان الأمثل في التدبير ، والأقرب إلى طريقة النفس

الشاعرة أن يصرف أبو الوفا هذا الشعور المادى الذى يتلذع به فيحوله فيجعله بابا من حكمة السخر الشعرى بالدنيا وأهلها وحوادثها ، كما صرفه ابن الرومى من قبل فأخطأ فى تحويله ، فجعله مرة بابا من المدح والنفاق ، ومرة بابا من الهجاء والاقذاع .

ولو بذل الشاعر أبو الوفا مجهوده فى ذلك ، واتهم الدنيا ثم حاكمها ، ونص لها القانون ، وأجلس القاضى ، وافتتح المجلس ، ورفعها قضية قضية ، ثم أخذها حكما حكما ، تارة فى نادرة بعد نادرة ، ومرة فى حكمة إلى حكمة ، وآونة فى سخرية مع سخرية - إذن لاهتدى هذا المتألم الرقيق إلى الجانب الآخر من سر الموهبة التى فى نفسه ، فأخرج مكنون هذه الناحية القوية منها ، فكان ولاريب شاعر وقته فى هذا الباب ، وإمام عصره فى هذه الطريقة .

على أن فى صفحات ديوانه أشياء قليلة تومىء إلى هذه الملكة ، ولكنها مبثوثة فى تضاعيف شعره ، والوجه أن يكون وجه فى تضاعيفها . وإنه ليأتى بأسمى الكلام وأبدعه ، حين يعمد إلى ذلك الأصل الذى نبهنا إليه ، فيصرف لهفة نفسه إلى بعض وجوهها الشعرية ، كقوله فى « حلم العذارى » وهى من بدائعه ومحاسن شعره :

هاهما عيناك تغريـ	ـنى على شتى الظنون
فيهما بحر وموج	وسهول وحزون
ووضوح وغموض	واضطراب وسكون
ومعان بينات	ومعان لا تبـين
وتهاويل فنون	من رشاد وجنون
وأشعات حيارى	بن منى أو من حنين
ليت شعرى أى سر	خلف هاتيك الجفون
آه إن السر آنا	عنه ذان الطائران
حيثما مالا على غصـ	ـنيهما يعتنقان . . .

فهذه أبيات فى شعر الجمال كالمحراب ملؤه عابده . . . اهـ

محمد سعيد العريان

خريج دار العلوم

يتيمة الدهر

للامام أبى منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى

أجمع كتب الثعالبى يطبع لأول مرة طبعة مصححة على ورق جيد ويقابل على عدة نسخ خطية

والكتاب من أوسع المراجع الأدبية التى ألفت فى القرن الخامس الهجرى . فيه تراجم واسعة لنحو خمسمائة أديب من عصر الثعالبى ومن سبقهم قليلا من شعراء وأدباء الشام والبصرة والعراق وما وراء النهر وفارس والجبل والاهواز وجرجان وطبرستان ومصر والمغرب والأندلس وهو على عنايته بالمشهورين من الشعراء يعنى بالمغمورين منهم ، وفيه أيضا كثير من النوادر المضحكة والملح المستعذبة والمقطوعات الغنائية الرقيقة ، والى ذلك تجد فيه الثعالبى يتعقب الشعراء ويميز خبيث شعرهم من الطيب ، بذلك جدير بأن يشبع رغبات الناس جميعا والكتاب يقع فى أربعة أجزاء ، وقد ظهر الجزء الأول والثانى وثمنهما عشرون قرشا صاغا ، والثالث والرابع بثمانية قروش للجزء مادام تحت الطبع . بادروا باشتراك قبل نفاد النسخ أو ارتفاع السعر ، ويباع فى المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر .

ديوان ابن حنظل

أصدر الزجال الرقيق محمد كامل أمين ابن حنظل الجزء الثانى من ديوانه ، وهو يشتمل على أروع الأزجال وابلغها أثرا فى تقويم الخلق ، يطلب من مؤلفه بسنورس - فيوم ، ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ مليما

جريدة الوفاق

دخلت جريدة الوفاق التى تصدر أسبوعيا عن بلقاس سنتها السابعة مزهوة بما ابلت فى ماضيها الطاهر من تقويم الخلق ونشر الثقافة بقلم صادق اللهجة وخطة نبيلة الغاية . فنرجو للزميلة الكريمة اطراد النجاح ودوام التوفيق .